المنهج في إثبات الأمور الغيبية

د. شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنهج
في إثبات الأمور الغيبيَّة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

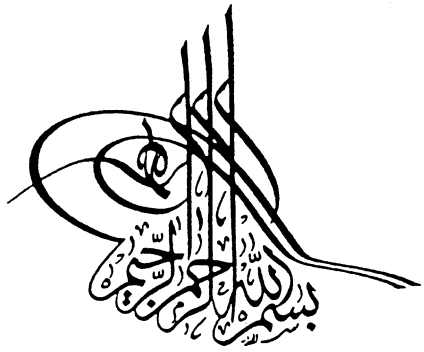

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

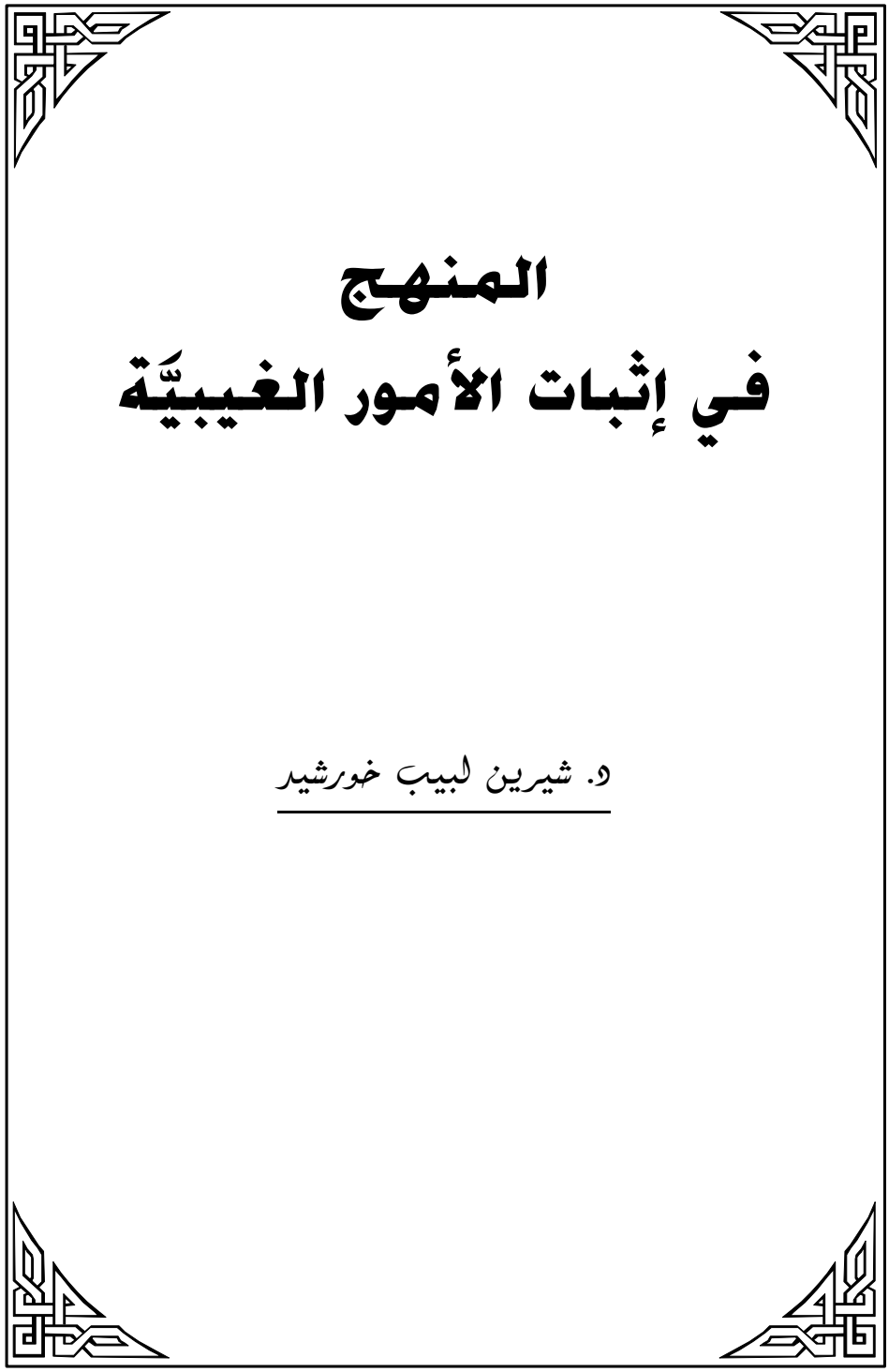

المنهج
في إثبات الأمور الغيبيَّة

د. شيرين لبيب خورشيد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١

العقيدة لغةً واصطلاحاً

مدخل إلى باب العقيدة:

الحمد لله الذي أبان للعباد منهج التربية القويمة في قرآنه المجيد، وأوضح للعالمين مبادئ الخير والهدى والإصلاح في أحكام شرعه الحنيف. والحمد لله أن بعث سيدنا محمداً ﷺ مؤدباً ومعلماً فأنزل عليه تشريعاً يحقق للبشرية أسمى آيات عزّها ومجدها.

والحمد لله أن تفضل على البشرية بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم وبناء الحضارات و... وما ذاك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى، إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار...

وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿...قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

---

(١) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فما السبيل الآن لإصلاح هذه الأمة من جديد؟ وما كيفية إخراجها من ضلالها وتعنّتها وما شابهها من فساد وظلم وفسوق؟... انتشر الظلم وضاع العلم، وطغت الأنانية على النفوس والقلوب ولم يعد يلنا حول ولا قوة إلا إذا وقفنا وقفة تأمل وتفكر وتساؤل: لِمَ وصلنا إلى هذا الانحطاط الخلقي؟ وكيف وصلنا إلى هذه التفاهات في العيش؟ ولماذا تخلّينا عن مبادئنا وجفونا منهجنا التربوي القويم؟...

وكيف السبيل إلى العلم المنير، والمنهج القويم؟ فقط بعقد النية على العودة إلى الأصل، إلى المنهج الرباني القويم، إلى منهج الله السليم، فالله الخالق أعلم بحاجات عباده وأعلم بشؤونهم وضرورات حياتهم.

فما لنا إلا استحصال ما فقدناه من ثقتنا بأنفسنا وبمنهج ديننا الحنيف والعودة إلى تعلم ديننا وتدبر آياته، والاقتداء بسنَّة رسول الله ﷺ وطريقة تربيته لأصحابه الذين فخرت بسيرتهم البشرية جمعاء ومدحهم الله في كتابه المجيد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ...﴾[1].

وقال في مدحهم أيضاً: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) الأحزاب: ٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلنعد ننهل من معين فضاء الرسول ﷺ، وفضائل الصحابة الكرام، ونستضئ بنور مكارمهم، وننهج في التربية نهجهم، ونسر بهمة ويقين ونشاط لنبني مجداً عزيزاً ومجتمعاً فاضلاً تفخر به الأمة وتسعد به الإنسانية من جديد. . . فلنعد إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ونعقد النية الصادقة على التشبث بعقيدتهم، والتمسك بمنهجهم التربوي لننقذ أبناءنا وأحفادنا من ضلال الظلمات والجهل.

معنى العقيدة لغةً(١):

ذكر في «لسان العرب» معنى عقد: وعَقَدَ العهد واليمبن يعقدها عقداً: أكدها أبو زيد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾(٢)، وعاقدت أيمانكم، وقد قرئ عقدت بالتشديد ومعناه التوكيد والتغليظ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾(٣) في الحلف أيضاً، وفي حديث ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(٤).

المعاقدة: المعاهدة والميثاق، والأيمان جمع يمين القسم. وقال

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء الثالث، ص٣٠١ ـ ٣٠٣.
(٢) النساء: ٣٣.
(٣) النحل: ٩١.
(٤) النساء: ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقد الحبل والبيع والعهد فانعقد. والعقد: العهد، والجمع عهود وهي أكّد العهود.

والمعاقدة: المعاهدة. وعاقده: عاهده وتعاقد القوم: تعاهدوا. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1]. قيل هي العهود، وقيل هي الفرائض التي ألزموها، قال الزجاج: أوفوا بالعقود التي عقدها الله ـ تعالى ـ لهم.

لذا نجد أنّ لفظ العقيدة بمعنى الوفاء والعهد والمعاهدة ليس معناه التصديق، فالقرآن الكريم استعمل لفظ الإيمان ومثله في الحديث الشريف، بمعنى التصديق.

مصطلح العقيدة[2]:

لم يُذكَر اسم العقيدة كعِلْم في القرن الأول الهجري، لذا قد سمي هذا العلم بأسماء كثيرة منها:

١ ـ الفقه الأكبر: كما سماه أبو حنيفة في الكتاب المنسوب إليه «الفقه الأكبر» حيث ذكر أنّ الفقه في الدين هو الأصل حيث عاد إلى حديث رسول الله ﷺ: «**من يُرِدِ اللهُ به خُيْراً يُفَقِّهُهُ في الدِّين**»[3].

---

(١) المائدة: ١.

(٢) محمود سالم عبيدات، **العقيدة الإسلامية**، عمان، الأردن، دار الفرقان، د.ط، ١٩٩٨، ص١٢ ـ ١٣.

(٣) **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، حديث رقم ٧١ وتتمة الحديث: «**وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمّة قائمة على أمر الله لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ علم الكلام: وقد ظهر هذا العلم حين ظهور فرقة المعتزلة[١] التي اشتهرت في عهدهم فكرة أنّ القرآن الكريم مخلوق، وقد أخذت هذه الفكرة من مسألة كلام الله ـ تعالى ـ، وهل كلام الله ـ تعالى ـ أزلي قائم بذاته أم مخلوق حادث؟؟ فسمي هذا العلم بعلم الكلام.

٣ ـ أصول الدين[٢] كما سماه البزدوي[٣] والبغدادي[٤]. وسمي

---

(١) **فرقة المعتزلة**: المعتزلة اسم يطلق على تلك الفرقة التي ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني على يد واصل بن عطاء (البصري الغزّال المتكلم، كان من أجلّاء المعتزلة، سمع الحسن البصري)، وسلكت منهجاً عقليًّا صرفاً في بحث العقائد، وقررت أنَّ المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده، وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل، والتمييز، والاستنباط على من خالفهم. انظر: **ميزان الاعتدال للذهبي**، الجزء الرابع، ص **٣٢٩** بتصرف.

الذهبي، الإمام الحافظ شمس الدين، المتوفَّى سنة **٨٠٦**هـ، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق عبدالفتّاح أبو سنة وعلي محمد عوض وعادل أحمد عبدالموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، **١٤٢٩**هـ/**٢٠٠٨**م.

(٢) السيد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق محمد السّود، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، **٢٠٠٩**م، ص**٣٢**، هذا المصطلح قد اشتهر بين السلف مرتبطاً بالفقه، إلّا أن اقترانه يالدين كان جهمي المنشأ والتكوين، فالمعتزلة أطلقوه على أصولهم الخمسة، وجعلوا تلك الأصول أساساً للدين، أمّا أغلب الذين استعملوه من متكلمي الأشعرية فكانوا يرغبون أن تكون لهم أصولهم العقلية متميزة عن الأصول الخمسة عن المعتزلة، حيث اعتبروا أنفسهم أهل السنَّة والجماعة. انظر: كتاب **أصول العقيدة**، د.محمود عبدالرازق الرضواني، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، **١٤٣٠**هـ/**٢٠٠٩**م، المجلد الأول، ص**٢٤٢** ـ **٢٤٣**.

(٣) **البزدوي**: أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم فخر الإسلام البزدوي، فقيه أصولي من أكابر الحنفية ومن سكان سمرقند نسبته إلى بزده قلعة بقرب نسف. له تصانيف منها: كنز الوصول في أصول الفقه ويعرف أصول البزدوي، توفي سنة **٤٨٢**هـ. انظر: أصول البزدوي، كنز الوصول إلى معرفة الأصول، للكاتب علي بن محمد البزدوي الحنفي، مطبعة جاويد برس، كراتشي. وانظر: سير أعلام النبلاء (**١٨/٦٠٢** ـ **٦٠٣**).

(٤) البغدادي: أبو منصور المتوفَّى سنة **٤٢٩**هـ، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محيي=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا العلم بعلم أصول الدين لأنّ الأصول جمع أصل، وهو في اللغة ما ينبني عليه غيره، فالإيمان هو أصل المعارف الدينية الذي يرتكز عليه الدين، ومسائله هي القواعد التي لا يصح الإيمان بدونها، وهذا اسم يصح أن يكون مقابل أصول الفقه الذي يبحث في قواعد الاجتهاد وأحكامه وما يتعلق بمصادر التشريع.

٤ ـ علم التوحيد: كما سمّاه ابن تيمية[١] ومحمد بن عبدالوهاب[٢] وسمّي هذا العلم بعلم التوحيد لأنّ أصل معنى التوحيد اعتقاد أنّ الله واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ثم جعل هذا الاسم «علم التوحيد» علماً لهذا العلم تسمية له بأهم مباحثه وأشرف قضاياه، وهي التوحيد والصفات الإلٰهية.

٥ ـ علم العقيدة أو علم العقائد: كما سماه النسفي[٣]

= الدين عبدالحمدي، بيروت، المكتبة العصرية للطباعو والنشر، د.ط، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. عالم رياضيات عربي عاش بين ٩٨٠م وعام ١٠٣٧م.

(١) ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الخضر ابن تيمية النمري الحرّاني، جمع بين العلوم النقلية والعقلية بأنواعها، ومذاهب أهل الملل والنحل وآراء المذاهب ومقالات الفرق. ولد عام ٦٧١هـ وتوفي عام ٧٢٨هـ بعد مرض نزل به في السجن في دمشق. الإمام محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، لندن قبرص، دار الحديث، ١٩٨٧م، ص٦٢٧.

(٢) عبدالوهاب بن محمد: هو منشئ مذهب الوهابية، المتوفى سنة ١٧٨٧م، وقد درس مؤلفات ابن تيمية، فراقت في نظره وتعمق فيها وأخرجها من حيّز النظر إلى حيّز العمل.

(٣) النسفي: ميمون بن محمد النسفي الشهير بـ: أبي المعين النسفي، المتوفى سنة ٥٠٨هـ، له كتاب **بحر الكلام**، يتحدث عن تاريخ علم الكلام وتطوّره متبع منهج الأشاعرة، وهو من علماء القرن الخامس الهجري وأوائل السادس. سكن بخارى=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والبيهقي[١] وسمّي هذا العلم بعلم العقائد أخذاً من عقد الحبل وغيره إذا أحكم بشدة.

وقد وضع العلماء عدة تعريفات للعقيدة في الاصطلاح، منها:

أنّ هذا العلم (علم الدين) يتطلب إقامة الدليل عليه من القرآن الكريم أو السنَّة النبويّة (الأدلّة النقلية)، أمّا علم التوحيد في الاصطلاح السائد في عصر النبوّة فهو كالتالي:

أفرد الإمام البخاري بابا في الصحيح بعنوان كتاب التوحيد، قال فيه: (باب ما جاء في دعوة النبي ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى). ثم عقّب بحديث ابن عبّاس رضي الله عنهما يقول: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن، قال له: «**إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله ـ تعالى ـ، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أنّ الله ـ تعالى ـ قد افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فتردّ على فقيرهم، فإذا أقرّوا**

= وهو حنفي المذهب، روى عنه شيخ الإسلام محمود بن أحمد الساغرجي، وعبدالرشيد الولوالجي، وكان من العلماء الأعلام المشهور لهم بغزارة العلم، وكان أصوليًّا فقيهاً متبحراً في العلوم والمعارف، ويعد من علماء الكلام. انظر: بحر الكلام، ميمون بن محمد النسفي، دمشق، دار الفرفور، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٤.

(١) البيهقي، الحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسن، المتوفَّى سنة ٤٥٨هـ، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، حققه أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بذلك فخذ منهم، وَتَوَقَّ كرائم أموال الناس»[١].

وفي رواية ثانية عن ابن عباس ﷺ قال: أنّ النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلّا الله وأنّي رسول الله، فإذا هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»[٢].

وقد ذكر ابن خزيمة[٣] في كتابه «التوحيد»[٤] وكتاب إثبات

---

(١) البخاري، في كتاب التوحيد: باب دعاء النبي ﷺ إلى توحيد الله، حديث رقم ٧٣٧٢. وزاد في رواية: «**واتق دعوة المظلوم، فإنّه ليس بينه وبين الله حجاب**»، أخرجه البخاري في المغازي: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفي الزكاة: باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء. وفي المظالم: باب الإتقاء والحذر من دعوة المظلوم. وفي التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. وأخرجه مسلم في الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) البخاري، كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، حديث رقم ١٣٩٥.

(٣) هو محمد بن إسحاق السلمي، أبو بكر، إمام نيسابور في عصره، كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث، إمام الأئمة وصاحب التصانيف. ولد سنة ٢٢٣هـ بنيسابور ونشأ بها، فسمع من محدث وعالِم خراسان الإمام إسحاق بن راهويه، كما سمع من الإمامين البخاري ومسلم، له كثير من المصنفات من ضمنه كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٣١١هـ وعمره يناهز ٨٩ سنة. من ترجمة المؤلف في كتاب الوحيد، ص٥.

(٤) وهو كتاب أثبت فيها ابن خزيمة صفات الرب ﷻ التي وصف بها نفسه في تنزيله على نبيه المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه، نقل الأخبار الثابتة الصحيحة، نقل العدول عن عدول، من غير انقطاع في الإسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات، بيروت، دار ابن حزم، ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صفات الربّ ﷻ مما أثبت فيه أن توحيد الله ﷻ هو بتوحيد صفاته وأسمائه.

وبذلك عرّفوا التوحيد على أنّه أوّل واجب للمعرفة هو توحيد الله، وللرسول ﷺ هو الرسالة والنبوّة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه. ويثبتون له جلّ جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه، وما جاء على لسان رسول الله ﷺ، وعليه كانت عقيدة الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

فالمقصود بعلم التوحيد في الاصطلاح: هو علم يعرف به طريقة الصحابة والتابعين في توحيد الله بالعبودية، وإثبات العقائد الإيمانية بأدلّتها النقلية والعقلية، والردّ على المبتدعين في العبادات، والمخالفين في الاعتقادات بالأدلة النقلية والعقلية[١].

وعرّف أبو بكر الجزائري فقال: العقيدة هي مجموعة من قضايا الحق البدهيّة المسّلمة بالعقل/ والسمع، والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنّه يصح أن يكون أبداً[٢].

---

(١) ابن القيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**، حققه وضبط نصه أحمد فخري الرفاعي وعصام فارس الحرستاني، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، الجزء الأوّل ص٤٥٤، والجزء الثاني ٣٦٥ بتصرّف.

(٢) أبو بكر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، مصر، القاهرة، دار السلام، د.ط، لا.ت، ص١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعّرفها عمر سليمان الأشقر فقال: «والعقيدة ليست أمورا عمليّة، بل أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأنّ الله أخبره بها بطريقة كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ»(١).

والعقيدة هي ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، أو هي الجانب النظري ـ العملي ـ الذي يطلب الإيمان به إيماناً لا يرقى إليه الشك ولا تؤثر فيه شبهة كعقيدة واجب الوجود الله واتصافه بالكمالات، وتنزيهه عن النقائص، ونزول الوحي، وإرسال الرسل ونحو ذلك(٢).

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، الأردن، عمّان، دار النفائس، الطبعة العاشرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٢.

(٢) عبدالحميد السائح، **عقيدة المسلم وما يتصل بها**، وزارة الأوقاف الأردنية، عمان، ١٩٧٩م، ص٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أركان العقيدة الإسلامية

أركان العقيدة الإسلامية:

أطلق مصطلح الإيمان على مسائل التوحيد والعقيدة لأنّها قضايا تتعلق في القلب. . .

حيث صنّف التوحيد إلى نوعين بناء على النصوص القرآنيّة والأحاديث النبوية جملةً وتفصيلاً.

ويذكر علماء السلف الصالح أنّ حقيقة الإيمان والتوحيد تكمن في تصديق الخبر بما جاء به رسول الله ﷺ من وحي السماء إمّا في القرآن الكريم أو بأحاديثه الصحيحة المنقولة عن العدول، وتنفيذ الأمر بما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله.

وقد بيّن ذلك ابن القيّم وغيره من علماء السلف أنّ جماع الدين: تصديق الخبر وطاعة الأمر، وأنّ أساس التوحيد والهداية التي منّ الله بها على الموحّدين، يترتّب على تصديق خبر الله، من غير اعتراض شبهة تقدح في تصديقه، وإمتثال أمره من غير إعتراض شهوة تمنع امتثاله.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر، ويتبعهما أمران آخران، وهما نفي شبهات الباطل الواردة عليه، المانعة من كمال التصديق، وأن لا يخمش بها وجه تصديقه، ودفع شهوات الغيّ الواردة عليه، المانعة من كمال الامتثال»[(١)].

لذا ما ورد في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع رسول الله ﷺ حين سأله عن الإيمان أجابه: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه. ولقد فسر علماء السلف أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

وفسرت أركان الإيمان: ومعنى أركان: جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى، وكما أنّ كل بناء لا يقوم إلّا على أسس قوية ثابته، كذلك فإنّ بناء هذا الدين لا يقوم إلّا على تلك الأركان.

وقضية الإيمان هي القضية الأولى التي جاء النبيون والمرسلون لأجلها، والتي نزل الوحي الكريم لتثبيتها، والتي كانت محور الرسالات كلّها، كما كانت محور رسالة رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلقد جاء القرآن الكريم وجاءت السنَّة الشريفة لتعالج هذه القضية الكبرى، وتوضحها وتبينها بياناً كاملاً، بياناً للبشرية كلّها، بياناً خاتماً لا بيان بعده. وجاءت سائر القضايا التي يعرضها منهاج الله ـ

(١) ابن القيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، حققه أبو عبدالله زهوي، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، الجزء الأول ص ٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قرآناً وسنَّةً ـ مرتبطة بهذه الحقيقة الأولى الكبرى، وتقوم عليها قياماً كاملاً، فلا استقرار لها بدونها، ولا قوة ولا كيان.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى خطورة هذه القضية في كل سورة من سوره، وألحّ عليها إلحاحاً شديدا في كل سورة كذلك، حتى تظل هذه القضية هي أهم قضية في حياة الإنسان على الأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[1][2].

ولقد أفرد البخاري في أوّل صحيحه عن كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، قوله ـ تعالى ـ:

﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[3]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾﴾[4].

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) عدنان علي رضا النحوي، **التوحيد وواقعنا المعاصر**، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٨ ـ ١٩.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) المؤمنون: ١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمّا في «صحيح مسلم» فقد ورد في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام الإحسان، وجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبرّي ممّن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقّه في رواية عن عمر بن الخطّاب ﷺ، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبيّ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً**»، قال صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**». قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». قال ثم انطلق فلبثت مليّا، ثم قال لي: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنّه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم**»[(١)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث ٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاهد من الحديث هو أنّ أركان الدين ثلاثة: الإسلام، الإيمان، والإحسان. ومن ضمنها معرفة أشراط الساعة، وأنّ كان الإيمان ستة أقسام من ضمنها الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه.

ولقد ذكر الله ﷻ أن من صفات المؤمنين، هم الذين يؤمنون بالغيب ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾. والغيب ما كان مغيباً عن العيون، وهو كل ما أمرنا بالإيمان به مما غاب عن أبصارنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾[1].

أمّا في أواخر سورة البقرة فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾[2].

وقد فسّر ابن كثير (يؤمنون بالغيب) في تفسيره فقال:

قال ابن جرير: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل.

والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار

(١) البقرة، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالفعل (قلت) أمّا الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾(٢)(٣).

وكذلك إذا اسُتعمل مقروناً مع الأعمال كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(٤). فأمّا إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعيّ المطلوب لا يكون إلّا اعتقاداً وقولاً وعملاً. هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيده وغير قولاً واحداً إجماعاً، «أنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»...

أمّا الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع إلى أنّ مراد الجميع: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله(٥)...

والغيب هو كل شيء غاب عن حواسنا فمثال على ذلك أرواحنا السارية في أجسامنا، لا نسمعها ولا نراها ولا نلمسها، ومع ذلك هي موجودة فينا حقًّا، نؤمن بها ونحرص عليها كل الحرص، وغيرها

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الأول، ص٤٣ ـ ٤٤ بتصرف.
(٢) التوبة: ٦١.
(٣) يوسف: ١٧.
(٤) الشعراء: ٢٢٧.
(٥) الحافظ أبي الفداء بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الأول ص٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكثير من العوالم الغيبية التي لا نراها ولكن يجب الإيمان بوجودها، ففي حديث عمر بن الخطاب ﷺ حين يحدّث به قول رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، أن نؤمن بأركان الدين ومن أركان الدين الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، أي يجب أن نؤمن بكل أمر غيبي أخبر عنه رسول الله ﷺ.

لقد أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن الغيب فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[(١)]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[(٢)].

ومن هذه الغيبيات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري في حديث حذيفة ﷺ، قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلّا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»[(٣)].

فالإيمان بالغيب أساس الاعتقاد الديني؛ بل إنّه يُعدّ من أبرز خصائص التوحيد لله سبحانه وتعالى، والإيمان بالغيب دعا إليه جميع الأنبياء والرسل، من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، فالغيب هو الذي أخبرت به الرسل الكرام هو كل أمر يمكن مشاهدته

(١) الحشر: ٢٢.
(٢) الرعد: ٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨] رقم الحديث (٦٦٠٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والإحساس به بعد الموت وفي الدار الآخرة، ومن الأمور الغيبية ما قصّه الله علينا من قصص الأولين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١].

وقال ـ تعالى ـ في قصّة يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[٢]. ومن الأمور الغيبية ما سيحدث في يوم الساعة وهو يوم القيامة، وقد ثبت أنّ جميع الرسل والكتب السماويّة جاؤوا لإنذار أقوامهم باليوم الآخر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[٣]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[٤].

الإيمان باليوم الآخر رأس هذه المقاصد، وأصل من أصول الإيمان وأركانه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾...[٥]. فالحصول على البرّ، لا يتحقق

(١) آل عمران: ٤٤.
(٢) يوسف: ١٠٢.
(٣) الزمر: ٧١.
(٤) الأعلى: ١٨ ـ ١٩.
(٥) البقرة: ١٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلّا بالإيمان باليوم الآخر، ولذلك فإنّ للإيمان أثراً عظيماً على الإنسان في الدنيا والآخرة. **فإنّ الإيمان باليوم الآخر والإكثار من ذكره**، والتصديق الجازم بوقوعه، يزيد إيمان الإنسان ويجعله من المتقين، وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب، فقد رتّب الله ﷻ حصول التقوى والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة. قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[1]. ولـمَّا كان الإيمان باليوم الآخر من الأمور الغيبية، أعان الله سبحانه وتعالى خلقه على الأيمان به بأمور كثيرة، ومن ذلك ربط هذا الغيب بالأمور المحسوسة، فإنّ الغيب إذا ربط بالأمور المحسوسة سهل به على الإنسان، ومن هذه الأمور المحسوسة التي تعين على الإيمان باليوم الآخر، أشراط الساعة.

وأهمية معرفة هذه الأشراط والأمارات، تظهر من أهمية الإيمان باليوم الآخر، ولذلك فإنّ الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب.

والحديث عن أشراط الساعة مهمّ، ولا سيّما إذا ابتعد الناس عن تذكّر الآخرة وانشغلوا بالدنيا وملذاتها، فإنّ في أشراط الساعة

(١) البقرة، الآيتان: ١ ـ ٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المحسوسة التي تظهر ويراها الناس بأعينهم كما أخبر النبي ﷺ، ما يعيد الناس إلى ربّهم ويوقظهم من غفلتهم(١).

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء رحمهم الله ـ تعالى ـ: الحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس من رقدتهم وحثّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة، قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدّوا للساعة الموعود بها، والله أعلم. وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها(٢).

وقيام الساعة قد أخفي وقت وقوعه، ولكن لها أشراط وعلامات، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾(٣). قد شرحها ابن حجر العسقلاني: **المراد بأشراط: العلامات**

---

(١) عبدالله بن سليمان الغفيلي، **أشراط الساعة**، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ، ص٧. محمد بن عبدالرحمٰن العريفي، **نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى**، الرياض، دار التدمرية، الطبعة السابعة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٩ ـ ٢٠. محمد بن إسماعيل المقدم، **فقه أشراط الساعة**، الإسكندرية، مصر، دار الخلفاء الراشدين، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٧ ـ ٢١. أحمد مصطفى متولي، **صحيح الدار الآخرة**، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٨٨.

(٢) شمس الدين عبدالله القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٧، الطبعة الثانية، ص٧٠٩. هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبدالله القرطبي، الإمام المفسر، كان زاهداً عابداً حسن التصنيف، رحل إلى مصر واستقر فيها، من كتبه: **الجامع لأحكام القرآن**، **والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، توفي سنة ٦٧١هـ

(٣) محمد: ١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي يعقبها قيام الساعة. ومن هذه الأشراط في حديث عمر بن الخطاب حين قال رسول الله ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». وقد ذكر الإسفاريني في كتابه «لوامع الأنوار» عن علامات الساعة: الآيات في ذلك كثيرة، وأمّا الأحاديث فلا تكاد تحصى...

ولما كان أمر السّاعة شديداً وهولها مزيداً وأمرها بعيداً كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها. ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وأخبر عمّا بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبّه أمّته وحذّرهم ليتأهبّوا لتلك العقبة الشديدة... وقال: أعلم أنّ أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم ظهر وانقضى، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي يعقبها الساعة، وأنّها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها...)[1]. لذا حاجة الناس ـ خاصّة في هذا العصر ـ لمعرفة أشراط الساعة أوّلاً: يسهم في توجيه سلوكهم إلى سبيل الخير والاستعداد ليوم المعاد.

ثانياً: وجود بعض الكتّاب في هذا العصر، الذين أخذوا يشكّكون في بعض الأمور الغيبيّة، التي أخبرنا رسول الله ﷺ عنها، ومنها أشراط الساعة، زاعمين أنّ هذا ينافي العقل ويصادمه، وهذه حجّة واهية تدلّ على عدم الإيمان بالغيب وعلى عدم تعظيم أمر الله وأمر رسول الله ﷺ.

---

(١) محمد السفاريني (١١٨٨هـ)، **لوامع الأنوار وسواطع الأسرار**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩١، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، ص٦٥ ـ ٦٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مناط الحكم في الاعتماد على الأدلّة النقلية في إثبات الأمور الغيبية

الإيمان بالغيب:

علم الغيبيات من الأمور التي استأثر الله ـ تعالى ـ بها، واختصّ بها نفسه جلّ وعلا، دون سواه من ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، قال سبحانه وتعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[2].

---

(١) الجنّ، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) هود: ١٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾[١].

وقوله ـ تعالى ـ لنبيّه محمد ﷺ:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٢].

يقول الإمام الطبري[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره هذه الآية:

«قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك، لست أقول لكم إنّي الربّ الذي له خزائن السماوات والأرض، فأعلم غيب الأشياء الخفيّة، التي لا يعلمها إلّا الربّ الذي لا يخفى عليه شيء فتكذبوني فيما أقول من ذلك، لأنّه لا ينبغي أن يكون ربّا إلا من له ملك كلّ شيء، وبيده كلّ شيء، ومن لا يخفى عليه خافيه، وذلك هو الله الذي لا إلٰه غيره»[٤].

وبما أنّ الإيمان بالأمور الغيبية هو من عند الله، فلا بدّ من الإيمان والتصديق أنّ كل ما يأتي من غير هذا المصدر هو طرق الدجّالين والمنجّمين والعرّافين والكهّان، حين يُحدّثون عن الأحداث

---

(١) يونس: ٢٠.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) هو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام البارع المفسر، قال الذهبي عنه: أكثر من الترحال ولقي كثير من الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف. من مصنفاته: **جامع البيان في تفسير القرآن**، توفي ببغداد سنة ٣١٠هـ. انظر: **سير أعلام النبلاء** ٢٦٧/١٤ ـ ٢٨٢.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، **تفسير الطبري جامع البان عن تأويل القرآن**، تحقيق صلاح عبدالفتاح الخالدي، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، المجلد الثالث، ص٤١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستقبليّة من عند أنفسهم. فما القواعد التي نتّبعها في مناط الحكم على الأدلّة النقليّة في إثبات الأمور الغيبيّة؟

أثبتنا أنّ أشراط الساعة وعلامات الساعة هي من مسائل التوحيد وهي صلب الدين الإسلامي وأصله الأصيل وبها يميّز المؤمن من الكافر، ويميّز أصحاب الجنّة من أصحاب الجحيم، ومما ابتلي به الإنسان في هذه الدنيا هو معرفة الشبهات، وتشكيك النّاس بما أخبر به رسول الله ﷺ، فهذا الابتلاء ليميّز الخبيث من الطيّب، والمصدّق من الكاذب، والمخطئ من المصيب.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، فما القاعدة الأصيلة التي سار عليها هؤلاء المؤمنون ليصدّقوا بأمور غيبيّة ذكرها رسول الله ﷺ؟

قبل البدء بمعرفة هذه القواعد، أوّد توضيح أمر مهمّ، وهو: كيف يدرك الإنسان ما حوله؟ ومما خلق هذا الإنسان؟ وما المقوّمات التي منحت له لمعرفة ما سخرّه الله له؟

«كان الله ولم يكن شيء معه»[(١)]، خلق الله الكون لحكمة عظيمة، لتظهر آثار أسمائه وآثار رحمته، وآثار قدرته، وآثار حكمته، وآثار جبروته، فلم يشهد أي مخلوق، ولا أي أحد كيف خُلِقَ هذا الكون.

لم يشهد أحد خلق السماوات والأرض ولا يستطيع أحد في

(١) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، كتاب بدء الخلق، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، حديث رقم ٣١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الكون أن يدّعي أنّه شهد خلق السموات والأرض أو ما بينهما، قال ـ تعالى ـ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[١]. وذلك لكي لا يكون هناك حجّة لمن يتّخذ نفسه إلها فيعبده الناس، فالله سبحانه هو الخالق وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن... الأول ليس له بداية والآخر ليس له نهاية وليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء وهو الباطن فليس دونه شيء... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أو ندًّا أو مثيلاً أو شبيهاً[٢].

روى البخاري[٣] في حديث عن عمران بن حصين: قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقّه في الدين ولنسألك عن أوّل هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء[٤] وكتب في الذكر ـ اللوح المحفوظ ـ كلّ شيء وخلق السماوات والأرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[٥].

---

(١) الكهف: ٥١.

(٢) صلاح عبدالفتّاح الخالدي، **سيرة آدم** عليه السلام، مؤسسة الورّاق، د.ط، ٢٠٠٣م، ص٩.

(٣) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم ٧٤١٨، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

(٤) لا نسأل عن كيفيّة ذلك ولا مكان الماء، ولا أين خلقه، فكل ما نعرفه أنّ الماء مخلوق وأنّ عرشه على الماء، وأنّ هذا كان قبل الإنسان وخلق السماوات والأرض.

(٥) يونس: ٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل**»(١).

وخلق الله ﷻ كل هذه الأصناف تهيئةً وتجهيزاً للحياة على وجه الأرض(٢). خلق الله ﷻ جميع المخلوقات، وهيّأ الأرض لاستقبال الخليفة، فجميع الخلائق تعبد الله ﷻ، خلق الملائكة وفطرهم على طاعته، وجميع المخلوقات تصلّي وتسجد، وتسبّح الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾(٣). وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾(٤).

وبعدما كتب القلم وجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة كما

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ حديث رقم ٢٧٨٩.

(٢) صلاح الخالدي، **سيرة آدم** ﷺ، ص١٤.

(٣) النور: ٤١.

(٤) الحج: ١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمره الله. ومنه علم الله أنّه سيخلق آدم عليه السلام وأنّ ما يميّز هذا المخلوق عن باقي المخلوقات أنّه أعطاه بعض الصفات التي يستطيع بها أن يعمّر الأرض ويكون فيها خليفة يحفظ النعم ويعترف بفضل الله، ومن هذه الصفات العلم والقدرة والإرادة كما ميّزه عن غيره بالحريّة والمسؤوليّة وجعل له الحساب والتكليف في دار الابتلاء(١).

ذلك أن الله عز وجل قد خلق آدم عليه السلام ليكون خليفة في الأرض على وجه الابتلاء، فيحيا مستَخْلَفاً فيها: يتقلب بين قدرة الله وحكمته، وفضله ورحمته، وعدله وقوّته، فالغاية من خلق الإنسان تتمثل في عبادته لله من خلال أفعاله في الأرض والتزامه بمراد الله الشرعي، أي فيما استأمنه الله فيه واسترعاه وخوّله وابتلاه(٢).

فما المقومات التي منحها الله عز وجل لآدم عليه السلام ولذريّته من بعده؟

أوّلاً: خلق الله عز وجل آدم عليه السلام في أحسن تقويم.

ثانياً: علّم آدم عليه السلام الأسماء كلّها.

ثالثاً: سلّحه بالفطرة هو وذريّته من بعده حين أخذ الميثاق على ذريّته وهم في عالم الذرّ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(١) صلاح عبدالفتاح الخالدي، **القبسات السنية في شرح العقيدة الطحاوية**، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٣.

(٢) محمد عبدالرزاق الرضواني، **منّة القدير**، القاهرة، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، الجزء الثاني، ص٤٩٠ ـ ٤٩٣ بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[1]. هذا الميثاق هو أساس فطرة التوحيد في كل إنسان. فالفطرة التي فطر الله الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوّة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيا أعلى عند فقرها، وتوّاباً رحيماً عند ذنبها، وسميعاً قريباً بصيراً عند سؤالها، وكل ذلك يدعو النفس إلى التوحيد والإسلام، والعودة بالضرورة إلى الملك القدوس السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

ثم عرض الله ﷻ على السماوات والأرض والجبال الأمانة لحملها، وتحمّل المسؤولية عنها، فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن من حملها ومن تحمّل المسؤولية عنها، ثم عرضها على آدم عليه السلام، فحملها واستعدّ أن يتحمّل المسؤولية عنها. وهذا يدلّ على أنّ معرفة حقّ الأمانة والإقرار بهذا الحقّ، والاستعداد للوفاء به، أمر مغروز في عمق فطرة الإنسان كما جاء في الحديث الذي ورد عن رسول الله ﷺ: «**إنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال...**»[3]. لكن الإنسان كان عند تنفيذ رحلة الامتحان في الحياة الدنيا، ظلوماً جهولاً، فلم يؤد

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) الروم: ٣٠.
(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، حديث رقم ٦٤٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الأمانة التي حملها واستعدّ أن يؤدّي حقوقها ما يجب عليه فيها[١].

لذا نتسائل ممّ يتكون الإنسان؟ هذا الإنسان الظلوم الجهول؟

وبعد التأمل في الدراسات المتعلقة بمكونات الإنسان لاحظت أنه مركب من الأجزاء الآتية[٢]:

١ ـ الجسد: هو ما خلقه الله ﷻ من تراب، فكان طينا، وبعدها صار طيناً لازباً، ثم ترك ليجفّ في الهواء فكان صلصالا من فخّار. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾

٢ ـ الروح: وبها تكون حياة الإنسان وبخروجها يكون الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٣].

٣ ـ الحواس: وَهي منافذ المعرّفة للإنسان يتعرّف بواسطتها إلى ما يحيط به من حاجات وأشياء ومخلوقات.

٤ ـ العقل: وَهو ذاك الفكر والإحساس الذي يجعل الإنسان العاقل يحبس نفسه ويردّها عن هواها. والتعقّل ضدّ الحماقة وسمّي العقل عقلاً، لأنه يعقل (يحجز ويمنع) صاحبه، والعقل في اللغة: هو

(١) عبدالرحمٰن حسن حنبكة الميداني، **روائع من أقوال الرسول**، دمشق، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٣٣٥.

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، المجلد الأول، ٢٢٩ ـ ٢٦٥ ـ ٣٢٧.

(٣) الإسراء: ٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحِجر والنهي، وهو ضدّ الحمق والجهل[١].

أمّا **العقل في القرآن**: فقد قال ـ تعالى ـ فيه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[٢]. وضع الله ﷻ العقل في قلوب الممتحنين من عباده لا نعرف كيفيّته، ولكنّ نتعرّف على وجوده من قول اللسان وأفعال الإنسان[٣].

٥ ـ القلب: من الجانب المحسوس فهو الآلة الخارقة التي لا تعرف التعب، فهو الذي تتحقّق فيه إحدى مقوّمات الاختيار في الإنسان، فقد قال الغزالي: «والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان، وهو محلّ العلم، والتقوى والإخلاص والذكر والحبّ والبغض والخطرات، وهو موضع الإيمان والكفر، والإنابة والإصرار والطمأنينة والإضطراب»[٤].

وفي القلب مركز الخواطر وحديث النفس، حيث في القلب مصدر الخواطر والأفكار، ومحل الإلهام في الإنسان. وقد وصف الله ﷻ القلب بأنّه يمرض ويقسو بالنفاق، وأنّه يصحّ بالصدق والإخلاص والتوحيد، وقد يبدو القلب كالبيت المقفل، فهو لا ينفتح

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، جزء ١١، ص٤٥٨.
(٢) الحج: ٤٦.
(٣) محمود عبدالرزاق الرضواني، **منة القدير**، المجلد الثاني، ص٢٥٠.
(٤) أبي حامد محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تحقيق عبدالله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لواردات الخير والهداية، إلّا بمفاتيح خاصّة، وقد يشتدّ الأمر حتى يختتم ويطبع عليها، وقد تعمي البصيرة عماء تامًّا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾...[(١)].

٦ ـ النفس: بمعنى الإنسان كلّه روحاً وجسداً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[(٢)].

قوّة الإنسان الإدراكيّة: ـ النفس الإنسانية من حيث النوع واحدة، وإنّ ما يختلف فيه النّاس هو نفسيّاتهم المكتسبة. أي أنّ ما فطره الله ـ تعالى ـ في بني آدم واحد عند الخلق، وإن اختلفوا في الدرجة لا يختلفون في النوع، وأنّ هذا الاختلاف في الدرجة هو رحمة بالعباد لكي يستخدم بعضهم بعضا سخريّا، والذي بغيره لا تستقيم الحياة الإنسانية. ثم لا يختلف العلماء أنّ البدن هو وعاء هذه النفس. وهذا اتفاق في ترابيّة الجسد الإنسانيّ وفي نوع النفس البشريّة عند جميع النّاس ـ رجلاً كان أم امرأة ـ[(٣)].

أمّا منافذ النفس[(٤)] فهي: في داخل الإنسان قوّة إدراكيّة كبيرة ولكن مدركاتها لا تنبع من داخلها وإنّما تأتيها من العالم الخارج

(١) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.
(٢) الذاريات: ٢١.
(٣) نايف معروف، **الإنسان والعقل**، بيروت، دار سبيل الرشاد، ط١، ١٩٩٥، ص١٥٣.
(٤) عبدالرحمٰن الميداني، **العقيدة الإسلامية**، دمشق، دار القلم، ط٦، ١٩٩٢م، ص١٥ ـ ٢٢ بتصرّف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنها. ولهذه القوّة الإدراكيّة في الإنسان منافذ تطلّ منها على العالم الخارجيّ (الحواس مثل البصر والذوق واللمس، كما لها صلات أخرى تطلّ منها على عالم النفس وتتمثل بحاسة الإنفعالات كالرضا والغضب، والحبّ والكراهية، وحاسة الألم، وحاسة التوازن، وحاسة الشهوات. . . إلخ.

فمقدار ما تنقل هذه الحواس من حقائق للقوّة الإدراكية، تستطيع أن تتخيّل وتدرك وتركّب وتستنج القواعد العامّة، وتقيس الأشباه والنظائر على بعضها البعض ولا تستطيع شيئاً غير ذلك.

ونستخلص من ذلك، أنّ النفس إنّما تدرك الأشياء المنتشرة في هذا الكون الكبير عن طريق منافذها التي تطلّ منها على العالم، ولولاها لما أدركت من الوجود الخارجي شيئا ولبقيت في جهل كامل.

الخيال وحدوده:

وجعل الله لدينا في مركّب (موضع) قدرة الإدراك زاوية خاصّة قادرة على تخيّل أشياء غير موجودة أمامنا وفق هذا التركيب التخيّليّ. لكّننا مهما حاولنا أن نتخيّل صورة ما من الصور الغريبة، أو الجديدة أو الإبداعية، ومهما سبحنا فيها من الأوهام الخرافيّة، فإننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً جديداً أكثر من أن نضمّ أجزاءً موجودة نعرفها، ونميّزها، ونراها فعلا في الكون نضمّها بعضها إلى بعض، لنصنع منها شيئا جديدا ندّعي أنّه من ابتكارنا ومن صنعنا واختراعنا، لكن في الواقع هذه الأجزاء قد أدركناها فعلا عن طريق حواسّنا، وبواسطة هذا التخيّل الموجود في داخلنا ضممنا هذه الأجزاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموجودة بشكل متباعد فتخيلناها على شكل وحدة متماسكة في صورة جديدة. لذا فإنّ خيالنا محصور حصرا تامّا فيما تدركه حواسنا، فنحن مهما أوتينا من قدرة خياليّة لا نستطيع أن نتخيّل حقيقة ما من الحقائق ما لم نلامس أو نر أو ندرك نموذجا عنها بحواسنا، ومن ذلك يستحيل علينا تخيّل الأمور الغيبيّة مهما وصلت بنا القدرة على التخيّل.

ومن أجل ذلك يصعب علينا بل ويتعذّر أن نتخيّل حقيقة تكوين الملائكة والجنّ وأمثال ذلك من مخلوقات بعيدة عن مجال حسّنا.

العقل وحدوده:

العقل مقيّد بعالم الحسّ، ولا عمل له على عالم الغيب، ذلك لأنّ القوّة العاقلة فينا تجمع بين المصوّرة والذاكرة والمخيلة والذكاء[1]، و(العقل) مصدر لفعل (عَقلَ)، أي هو اسم لا وجود لذات له في الخارج، فالحدث هو الأمر الذي يقع به الفاعل. إذاً لغة ـ هو شيء اسمه (العقل) لأنّه ليس له ذات يقع في دائرة الحواس الخمس، ولا كيان له يعرف به، إنما يظهر أثره من خلال العناصر المكوّنة لهذا الحدث. من هنا ندرك أنّه ليس للعقل كيان ذاتيّ يمكن أن تقع عليه حواسّنا، ولكي نرى أثره لا بدّ أن تتم عملية العقل (التفكير)، وبالتالي لا بد من توافر العناصر المكوّنه لهذه العملية. ألا وهي:

(١) عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية**، ص١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أوّلاً: لا بدّ من (واقع) يكون موضوعاً للتفكير.

ثانياً: لا بدّ من انتقال هذا الواقع إلى الإنسان، وذلك عن طريق حاسّة أو أكثر من الحواس الخمس عبر قنوات الإحساس.

ثالثاً: لا بدّ من دماغ يستقبل الواقع المحسوس.

رابعاً: لا بدّ من معلومات سابقة مخزونة في الدماغ لتفسير هذا الواقع الجديد، لكي يتمكّن الإنسان من إصدار حكم ما حول هذا (الموضوع).

وما لم يتحقّق وجود هذه العناصر الأربعة فلن يتمكّن الإنسان من إتمام عمليّة التفكير التي بانتهائها يتمّ (العقل) الذي تميّز به الإنسان عن سائر العجماوات. ولا يستطيع المرء أن يفاضل بين هذه العناصر الأربعة. فالدماغ الذي يبدو ـ للوهلة الأولى ـ أنّه العنصر الأهم والأساس، يفقد قيمته ولا يتمكّن من القيام بدوره إن لم تزوّده الحواسّ بموضوعات العقل ووقائعه[١].

الحواس وحدودها:

حينما نتحدث عن الحواس الخمس كواحد من عناصر العقل فإنما نعني الحواس الخمس التي تشكل نوافذ الاتصال بين الإنسان وبين محيطه الخارجي، إذ هي نوافذ المعرفة الإنسانية التي يشترك فيها النّاس كلّ النّاس. ـ أسودهم وأبيضهم، أحمرهم وأصفرهم،

(١) معروف، نايف، **الإنسان والعقل**، ص١٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤمن منهم والكافر ـ أمّا الإحساس الداخلي المتمثّل بالشعور المتّصل بالحاجات العضويّة أو المشاعر الغريزيّة فلا دخل لها في هذا الشأن، لا من قريب ولا من بعيد، لأنّها ليست عنصراً من عناصر التفكير. ولا تعدو أن تكوّن شعوراً ومشاعر تطلب الإشباع ليس غير[١]. وأمّا حواسنا التي هي السبيل الوحيد لنتعرّف على الوجود من حولنا، فهي منافذ محدودة كمّا وكيفا[٢].

ومما سبق تتلخّص لدينا الحقائق التالية[٣]:

١ ـ إنّ الحواسّ محدودة.

٢ ـ إنّ قدرة التخيّل فينا محدودة.

٣ ـ إنّ عقولنا محدودة لا تستطيع أن تدرك جميع الحقائق.

وبما أنّ العالم من حولنا، مقسوم إلى عالم ماديّ مشهود ومحسوس، وعالم غيبيّ مجرّد لا يمكن أن تراه العيون، ومع ذلك لا يمكن أن ننكره لعدم رؤيتنا له ولا يمكن أن نتصورّه كما نريد ولا يمكن أن نتفكر به من خلال الخيال أو العقل لأجل ذلك فإنّ الوحي هو الطريق الوحيد لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب، ومن أجل ذلك أرسل الله جلّ وعلا الرسل، الذين اتصلوا بالوحي من عالم الغيب، فالوحي يبلغهم بعض الحقائق المغيّبة عنّا،

(١) معروف، نايف، **الإنسان والعقل**، ص١٨٢ ـ ١٨٣.
(٢) عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية**، ص١٩.
(٣) عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية**، ص٢١ ـ ٢٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهم يبلّغوننا ما نقلوه عن الوحي بشكل يقينيّ واضح. وما علينا إلّا أن نصدّقهم بما أخبروا به من عند الله ـ تعالى ـ.

لذا يجب أن نؤمن جازمين ومتيقّنين بما جاءنا عن الوحي الصادق، دون أن نزيد عليه شيئاً من التخيّلات أو التصوّرات، ودون أن نتلاعب فيه بتأويلات.

وبهذا ندرك أنّه لا يمكننا معرفة الأمور الغيبية إلّا عن طريق الخبر الصادق، المرسل من الله عن طريق الوحي والمثبّت في كتاب الله ـ تعالى ـ، والمعاش المؤكّد عن طريق سنَّة رسول الله ﷺ.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنهج في إثبات الأمور الغيبية

أمّا المنهج في إثبات الأمور الغيبيّة فهو المنهج القرآني والحديث النبويّ، وهو منهج جميع الرسل والأنبياء.

وهو منهج الله ـ تعالى ـ في خلقه؛ لأنه أعلم بهم وبأحوالهم، وبحاجاتهم. هذا المنهج يقف العقل الإنسانيّ فيه عند حدّ التصديق بالله، ثمّ بعد ذلك يتلقّى من هذا المنهج عن الله ـ تعالى ـ، والتوحيد ضرورة اليقين بالله الواحد، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

والعقل الإنسانيّ هنا يتدبّر وحي الله ويفقهه، ولا يخوض في هذه القضايا بعيدا عمّا أوحى الله ـ تعالى ـ به إليه. وعلى المسلم في هذه الحال أن يتأكّد من صدق نسبة النصوص إلى رسول الله ﷺ، فإن كانت صادقة، فعليه أن يترك رأيه وهواه، ويحكم يقينا بما أوحى الله ـ تعالى ـ، ومن ذلك أشراط الساعة لأنّ فيها حثّ النفس على طاعة الله، والاستعداد ليوم القيامة، ففيه إيقاظ للغافلين، وحثّهم على التوبة، وعدم الركون إلى الدنيا، وهذا ما فعله المصطفى ﷺ)، عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: استيقظ النبيّ ﷺ من النوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمراً وجهه يقول: «**لا إلٰه إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**». قيل: أَنَهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»(١). وفيه أيضاً عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً، يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات** ـ يريد أزواجه لكي يصلين ـ، **ربّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(٢).

والأهمّ من ذلك أن من أشراط الساعة الحديث عن الفتن وما يحدث في آخر الزمان، مما يدفع الإنسان ليتّقي هذه الفتن(٣).

ما القواعد التي اتبعها السلف الصالح في معرفة الأمور الغيبية، ومتى بدأ السلف الصالح يقعد لهذا العلم؟

لقد ثبت لديّ بعد التدقيق في مراجعة كتب أصول الفقه ومناهج التشريع الإسلامي(٤) ـ والبعض من كتب العقيدة ـ ما يحير الحليم من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ويل للعرب من شر قد اقترب، حديث رقم ٧٠٥٩، ورواه مسلم بحديث رقم ٢٨٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده أشرّ منه، حديث رقم ٧٠٦٩.

(٣) محمد بن عبدالرحمٰن العريفي، **نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى**، السعودية، طبعة أولى، دار التدمرية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٤ ـ ٥ بتصرف.

(٤) ينظر على سبيل المثال:
١ - الشافعي (٢٠٤هـ)، الأم، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٢ - الشافعي (٢٠٤هـ)، الرسالة، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كيفية اتخاذ هذا المنهج الذي يسير عليه معظم الشعوب اليوم في أصول الفقه الإسلامي ومناهج التشريع الإسلامي، من «قطعيّ الدلالة» و«ظنيّ الدلالة» ما لم أجد له أثراً فيما علّمنا إياه رسول الله ﷺ، ولست بصدد الشروع في كتابة هذا العلم في بحثي سوى ما سأتطرق إليه من الأخذ بأحاديث الآحاد في الأمور الغيبية التي غابت عنّا وأخبرنا عنها رسول الله ﷺ، ولن أدخل في قول السلف الصالح، ومن هم السلف الصالح، أو لماذا اتخذ هذا العلم، الذي سأتحدث عنه حين الحديث عن الفرق، التي خرجت بعد وفاة رسول الله ﷺ.

لذا، إن تتبّعنا التاريخ لمعرفة أول من سنّ هذا العلم نجد أنّ،

= ٣ - ابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الفكر، د.٤، ١٤٢٧ - ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤ - أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، المستصفى من علم الأصول، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥ - ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦ - أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي (٧٩٠هـ)، الاعتصام، القاهرة، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٧ - وله أيضاً الموافقات في أصول الشريعة، بيروت، دار المعرفة، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٨ - محمد بلتاجي، مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري، دراسة أصولية مقارنة لمصادر الأحكام عند الأئمة: [زيد بن علي - جعفر الصادق - أبو حنيفة - الأوزاعي - الثوري - الليث بن سعد - مالك - الشافعي]، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩ - محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول، القاهرة، دار السلام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في تاريخ التشريع الإسلامي، الشافعي هو أول من سجّل في وضوح، وتفصيل خطّته التشريعيّة في استنباط الأحكام. ويرجع السبب في أنّ الشافعي أوّل من وضع هذا التشريع، لأنّه لم يكن قد ابتدأ بعد عصر تقعيد قواعد للعلوم الشرعيّة، وتأصيل أصول منهجيّة لها، وتدوينها بطرق علميّة منظّمة. بل إن مجرّد تدوين العلوم العربية كلّها قد نشأ في القرن الثاني، ولم يزدهر ويأخذ صورة جماعيّة إلا في النصف الثاني منه. وقد أشار إلى ذلك أيضاً أستاذنا محمد أبو زهرة حيث ذكر أن زيد بن عليّ لم يدوّن منهجه في الاجتهاد، ولم يفعل ذلك أيضاً أبو حنيفة، ولا الأوزاعي، ولا مالك، وبذلك يكون الشافعي» هو أوّل إمام بيّن منهجه، لأنّ التدوين وتأصيل العلوم كلّها قد ظهرت على عهده؛ وما يهمّنا هو المنهج الذي اتبعه الصحابة، رضوان الله عليهم، في التصديق بالأمور الغيبيّة. فبالعودة إلى الفترة الزمنية الواقعة في القرن الأول والثاني الهجري، نرى أن من الائمة الذين عاصروا هذه الفترة وفق ميلادهم هم كالآتي:

١ ـ الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠ ـ ١٥٠ هـ).

٢ ـ الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩هـ).

٣ ـ الإمام سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١هـ).

٤ ـ الإمام سفيان بن عيينة (١٠٧ ـ ١٩٨هـ).

٥ ـ الإمام عبدالله بن مبارك (١١٨ ـ ١٨١هـ).

٦ ـ الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧ ـ الإمام أبو القاسم بن سلّام (١٥٠ ـ ٢٢٤هـ).

٨ ـ الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ).

٩ ـ الإمام البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ).

١٠ ـ الإمام الدرامي (٢٠٠ ـ ٢٨٠هـ).

١١ ـ الإمام أبو داود (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ).

١٢ ـ الإمام مسلم (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ).

١٣ ـ الإمام الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).

١٤ ـ الإمام ابن ماجه (٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ).

١٥ ـ الإمام النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ).

أمّا القرن الثاني والثالث فقد جاء:

١ ـ أبو بكر بن خزيمة (٢٢٣ ـ ٣١١هـ).

٢ ـ أبو جعفر الطحاوي (٢٣٨ ـ ٣٢١هـ).

٣ ـ أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ).

٤ ـ أبو عبدالله بن منده (٣١٠ ـ ٣٩٥هـ).

هؤلاء تابعو التابعين ساروا على درب الصحابة الكرام في فهمهم للتوحيد والعقيدة الإسلامية بفطرتهم النقيّة، وحازوا على مرتبة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، بتصديق خبر رسول الله ﷺ، لأن علم اليقين شرط من شروط لا إله إلا الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترى هل فرّق الصحابة بين أحاديث رسول الله ﷺ؟ فالمعروف أنّ الصحابة والتابعين كانوا يتلقّون نصوص القرآن الكريم وما ثبت في السنة بالتصديق والتسليم ويقابلونها بالخضوع والحب والتعظيم، فلا يفرّقون فيها بين المتواتر والآحاد، بل أيقنوا بفطرتهم السليمة أن جميع ما صحّ وما ثبت عن رسول الله ﷺ هو وحي من الله ﷻ إلى سائر العباد، ولا بدّ لهم أن يصدّقوا خبره بشرط اليقين، ولا بدّ من تنفيذ أمره بكمال الانقياد(١).

وقد أفرد البخاري في صحيحه كتابين يدلّان على صدق هذا الكلام: كتاب أخبار الآحاد وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، فجاء في الباب الأول: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، أما كتاب الاعتصام والسنَّة وضح اهتمامه في الأبواب إلى الأخذ بأحاديث رسول الله ﷺ من غير كثرة السؤال والغلو في الدين والبدع، وذم الرأي وتكلف القياس(٢).

واتفق الصحابة على العمل بخبر الواحد، وهو كما عرفنا: ما رواه الواحد أو الاثنان دون أن يبلغ حد التواتر أو الشهرة، وعمل الصحابة به في وقائع لا تعد ولا تحصى.. ويقول ابن أبي العزّ الحنفي: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمّة بالقبول عملاً به وتصديقاً له

(١) صلاح عبدالفتاح الخالدي، **القبسات السنية في شرح العقيدة الطحاوية**، ص١٣١. محمود عبدالرزاق الرضواني، **أصول العقيدة**، المجلد الثاني، ص٩٢٣. والوابل، يوسف عبدالله، **أشراط الساعة**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة التاسعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٤١.

(٢) صحيح البخاري، **كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة**، ص١٣٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمّة، وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمّة في ذلك نزاع»[(١)].

وفي رواية مسلم: كل ما ثبت عن النبيّ ﷺ أنّه أخبر بوقوعه فالإيمان به واجب، وذلك من تحقيق الشهادة بأنّ محمدا رسول الله ﷺ، تحقيقها من أصول الإيمان، ولا يكون المرء مؤمنا معصوم الدم والمال حتى يحقّق الشهادة بالرسالة، لقول النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله»[(٢)].

لذا كل ما أخبر به رسول الله ﷺ، الإيمان به متعلّق بالعقيدة، لأنّه لا يتمّ الإيمان بالرسول ﷺ إلّا بالإيمان بأخباره.

أمّا ابن حزم المتوفى ٤٥٦هـ فقد ذكر في كتابه الإحكام في أصول الأحكام قال: قال أبو سليمان والحسين عن أبي علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم، أنّ خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معا، وبهذا نقول: ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدول إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به، ووجب العلم بصحّته أيضا[(٣)]...

---

(١) علي بن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، حققه بشير محمد عيون، دمشق وبيروت، مكتبة المؤيد ومكتبة البيان، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الجزء الثاني، ص٣٩٤.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم ٣٤.

(٣) الخبر الواحد العدل المتصل إلى رسول الله ﷺ في أحكام التشريع يوجب العلم، ولا يجوز فيه البتّه الكذب ولا الوهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والبرهان على صحّة وجوب قبوله قول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[(١)] وقال أيضا: فصحّ أنّ كلام رسول الله ﷺ كلّه في الدين ووحي من عند الله ﷻ، لا شكّ في ذلك ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أنّ كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزّل، فالوحي كلّه محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفّل الله بحفظه فمضمون ألّا يضيع منه وألّا يحرّف منه شيء أبدا تحريفا لا يأتي البيان ببطلانه[(٢)].

أمّا **ما أثبته ابن قيم الجوزية** في كتابه مختصر الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة قال عن خبر الواحد: إذا صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمّة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى النبي ﷺ، وتلقته الأمّة بالقبول، فإنّه يوجب العلم فيما سبيله العمل، هذا قول عامّة أهل الحديث والمثقفين من القائمين على السنة[(٣)].

وقد **نقل السفاريني** في كتابه لوامع الأنوار[(٤)]: عن الإمام إسحاق بن راهويه. قال في المسوّدة أنّ جحد أحد أخبار الآحاد كفر،

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) ابن حزم الظاهري، المتوفي ٤٥٦، **الأحكام في أصول الأحكام**، بيروت، دار الفكر، نسخة منقّحة بإشراف مكتب البحوث والدراسات، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، الأول، ص٨٠.

(٣) ابن قيّم الجوزية، المتوفي سنة ٧٢٨هـ، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، لا.ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٥٥١.

(٤) محمد السفاريني، **لوامع الأنوار**، ١ ـ ١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالآحاد كالمتواتر عندنا فإنّه يوجب العلم والعمل به .**أمّا الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه العقيدة في الله**[١] قال: وإننا إن لم نقل بكفره، نقول: لقد سلك هذا الذي ردّ أحاديث الرسول ﷺ الصحاح في الاحتجاج بها في العقائد مسلكا بيّن الخطأ، ويخشى عليه أن يزيغ بسبب ردّه لهذه الأحاديث وأن يبتليه الله بالمضّلات ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

وذكر ابن الصلاح في مقدمته: «أنّ ما اتفق عليه البخاري ومسلم من الحديث مقطوع بصحّته، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجّا أنّه لا يفيد في أصله إلّا الظن، وإنّما تلقّته الأمّة بالقبول، لأنّه يجب عليهم العمل بالظنّ، والظنّ قد يخطئ، وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قويّا، ثم بان لي أنّ المذهب الذي اخترناه أوّلا هو الصحيح لأنّه ظن من هو معصوم من الخطأ»... وهذه نكتة نفيسة نافعة ومن فوائدها: القول بأن ما انفرد به البخاري أو مسلم، مندرج في قبيل ما يقطع بصحته، لتلقي الأمّة كل واحد من كتابيهما بالقبول»[٣].

ويقول الشوكاني: «ولا نزاع في أنّ خبر الواحد، إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه، فإنّه يفيد العلم، لأنّ الإجماع عليه صيّره من

---

(١) عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، عمّان ـ الأردن، دار النفائس، ط١٠، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٦٣.

(٢) النور: ٦٣.

(٣) الحافظ زين الدين العراقي (٨٠٦هـ)، **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، بيروت، دار الحديث، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقّته الأمّة بالقبول»[(١)].

وبذلك نرى أنّ أئمة السلف وتابعيهم يحتجّون بالأخبار الصحيحة دون النظر إلى قضية القطع والظنّ، ودون تفريق بين الأحكام والعقائد وبين ما تعمّ به البلوى وما لا تعمّ به البلوى، وبين ما يسقط بالشبهات وما لا يسقط بها، وبين ما زاد على القرآن وما كان مبينا له أو موافقا له، وبين ما يقال إنّه مخالف للقياس أو موافق له، بل كانوا يأخذون بالحديث متى صحّ ولم يوجد حديث صحيح ناسخ له[(٢)].

أمّا السبب في عدم الأخذ بأخبار الآحاد فهو كالتالي: ـ

يقسم العلماء العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من ربّه إلى ثلاثة أقسام: ـ

١ ـ قسم إخباري وهو يتعلّق بأمور الغيب والآخرة كصفات الله سبحانه وتعالى وأعماله والرسالات والملائكة والجنّة والنار والحساب وغير ذلك مما يدخل في مسائل الغيب.

٢ ـ وقسم يتعلّق بالأعمال وهو التشريع والأعمال التي كلفنا بها فمنها ما يتعلّق بالصلة بين العبد وربّه فتسمّى العبادات وأعظمها

---

(١) الحافظ محمد بن علي الشوكاني، المتوفى ١٢٥٠هـ، **إرشاد القحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول**، تحقيق أد. شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، دار السلام، ط٣، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ١/١٧٦.

(٢) أبي عبدالله محمد الشافعي (٢٠٤هـ)، **الرسالة**، تحقيق خالد السبع العلمي، زهير شفيق الكبي، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصلاة والصوم والزكاة والحج، ومنها ما يتعلّق بين الناس بعضهم مع بعض كالزواج والطلاق والبيع، والهبة والميراث وهكذا كافة الشؤون المالية والسياسية...

٣ ـ وقسم ثالث: ـ يتعلّق بالكمال الإنساني وهو الأخلاق والتزكية، وهذا القسم يتعلّق بكلا القسمين الآنفين. فهو من ناحية عمل قلبي، كسلامة الصدر من الغلّ والحسد، وهو من ناحية ثانية عمل ظاهريّ تشريعيّ، كالسماحة والبذل والشجاعة وإكرام الضيف وما إلى ذلك من أعمال ظاهرية.

والقسم الأوّل: العقائد لا يدخله التغيير ولا التبديل ولا زيادة أو نقص فهو ثابت في الرسالات جميعها وعلى لسان الأنبياء جميعا.

وأمّا القسم الثاني: فهو خاضع للظروف والملابسات والزمان والمكان بل هو في حركة دائمة كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]. ولذلك اختلفت شرائع الأنبياء بعضهم عن بعض، ولا يعني هذا الاختلاف من جميع الوجوه بل أصول الشرائع أيضا متّفقة.

وبالرغم من أنّ شريعة الإسلام قد كملت بوفاة النبي ﷺ فإنّ المسلمين في تاريخهم الطويل قد احتاجوا إلى أن يستنبطوا من هذه الشريعة أحكاما لقضاياهم ومشكلاتهم المتجدّدة بتجدّد الزمان والمكان والحوادث. ولذلك كان تشريع حياة متحرّكة متجدّدة بتجدّد الحياة.

(١) المائدة: ٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا يعني أيضا وقف التشريع للوقائع المتغيّرة، هو عزل الشريعة عن حياة الناس لأنّ الحياة مستمرّة، وللتشريع ضوابط لهذه الحياة والحركة مستمرّة. وإذا تخلّفت هذه الضوابط انفلت الناس إلى شرائع أخرى وقوانين جديدة، وهذا ما حدث تماما بالنسبة للشريعة الإسلاميّة حيث عزلت عن حياة الناس، وعن التقنين لهم بجمود الحركة الفقهيّة التشريعيّة أوّلا، ثم بالعزل السياسي والاجتماعي للتشريع الإسلامي.

القسم الثالث: وأمّا الأخلاق فبالرغم من ثباتها من حيث المبادئ والأصول، فالجانب العملي فيها يتغيّر تبعا للظروف والملابسات، فالصبر والشجاعة والكرم وإن كان المعنى الأصلي فيها ثابتا باقيا، إلّا أنّ المواقف التي تقتضي ذلك متغيّرة أيضا.

لذا الأخذ بحديث الآحاد هو من الأحاديث التي تستلزم الأخذ بها وإلّا ردّت مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبيّ ﷺ لمجرّد كونها في العقيدة[1]، ولقد ذكر د. عمر الأشقر في كتابه العقيدة؛ العقائد التي ثبتت بأحاديث الآحاد الصحيحة منها: ـ

١ ـ أفضلية نبينا ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين.

٢ ـ شفاعته العظمى في المحشر.

٣ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمّته.

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، **وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة**، دمشق، مكتبة دار بن عبدالرحمٰن بن علي الجريسي، د.ط، ١٩٧٤م، ١٩ ـ ٢٠ بتصرّف. وله أيضا: **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٤٩ ـ ٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ ـ معجزاته كلّها ما عدا القرآن.

٥ ـ كيفيّة بدء الخلق، وصفه الملائكة والجن، وصفه الجنّة والنار، ممّا لم يذكر في القرآن الكريم.

٦ ـ سؤال منكر ونكير في القبر.

٧ ـ ضغطة القبر للميت.

٨ ـ الصراط، والحوض، والميزان ذو الكفّتين.

٩ ـ الإيمان بأنّ الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته، ورزقه وأجله وهو في بطن أمّه.

١٠ ـ خصوصيّاته ﷺ، التي جمعها السيوطي في كتاب «الخصائص الكبرى» وإسلام قرينه من الجن.

١١ ـ القطع بأنّ العشرة المبشرين بالجنّة من أهل الجنّة.

١٢ ـ عدم خلود أهل الكبائر في النار.

١٣ ـ الإيمان بكلّ ما صحّ في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر ممّا لم يرد في القرآن الكريم.

١٤ ـ الإيمان بأشراط الساعة، كخروج المهدي، ونزول عيسى عليه السّلام، وخروج الدجّال، وخروج النّار، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وغير ذلك.

والصواب من القول إنّ أحاديث الآحاد الصحيحة تفيد اليقين إذا احتفت بها قرائن ودلائل كما نقلنا ذلك عن جملة من أهل العلم،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالأحاديث التي وردت في كتب السنة وصححها أهل العلم ولم يطعن في صحّتها واحد منهم تفيد اليقين لإجماع الأمّة على صحّتها، ومن ذلك ما اتفق عليه صاحبا الصحيح أو ورد في واحد من الصحيحين، ولم يطعن في صحّته واحد من أهل العلم. ومن ذلك أن يكون الحديث مشهورا أو مستفيضا أو رواه الأئمّة الكبار كمالك عن نافع عن ابن عمر.

خلاصة القول في المسألة: **إنّ علماء أهل السنّة يقبلون أحاديث الآحاد الصحيحة في العقائد والأحكام من غير تفريق في ذلك، يدلّك على هذا تخريج أئمّة أهل السنّة كمالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وغيرهم، الأحاديث المثبتة للعقائد في مدوّناتهم، والمتواتر منها قليل، ولو لم يرتضوا الاستدلال بها لما أتعبوا أنفسهم في روايتها وضبطها وتدوينها، ومن قال عنهم خلاف ذلك فإنّه قد افترى عليهم، ولا دخل لكون الأحاديث الآحاد تفيد الظنّ الراجح أو اليقين في المسألة**[(١)].

وفي الحقيقة أنّ التفريق بين التواتر والآحاد في إفادة العلم، اصطلاح حادث لم يدل عليه كتاب ولا سنّة ولم يعرفه الصحابة ولا التابعون، فالرسول ﷺ قد صدّقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة منهم إلى تواتر المخبرين، وكذلك كان الرسول ﷺ يصدّق أصحابه فيما يخبرونه به، وكان الصحابة يصدّق بعضهم بعضا فيما يخبر عن الرسول ﷺ، ولم يقل واحد منهم لمن حدّثه، خبر واحد، لا يفيد

(١) عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم حتى يتواتر، وتوقف منهم حتى عضده آخر، لا يدل على عدم قبول خبر الواحد وإنّما كانوا يستثبتون أحيانا نادرة جدا. وقد ذهب جماعة من أهل الأصول على أنّ الإجماع الذي انعقد على العمل بخبر الواحد صار كالمتواتر، و... وقد ذهب جماعة من أصحاب أحمد وإسحاق بن راهويه، أنّ منكر إفادة خبر الواحد للعلم إلى تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل[١].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) ابن قيم الجوزية، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ٥٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقوال الأئمة في العقيدة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة

فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين بـ«الفقه الأكبر».

وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة؛ إلاّ بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويكون مع ذلك كله أحب إليها مِمَّا سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرِّفين، وإليه راعين ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها.

ثم تبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، [وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه].

ثانيهما: تعريف السالكين ومالهم بعد الوصول إليه، من النعيم المقيم.

فأعرف الناس بالله ﷻ أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمّى الله ﷻ ما أنزله على رسوله ﷺ روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه فقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[2] ولا روح إلا فيما جاء به الرسول، ولا نور إلا في الاستضاءة به، وسماه الشفاء كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[3].

والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما

---

(١) سورة المؤمنون: ١٥.

(٢) سورة الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) سورة فصلت: ٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاء به ولا ريب أنه يجب على كل واحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً ينفي الوهم والشك والظن، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على المكلف. وقد مضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يوصى به الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[(١)] فإن كان قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ معطوفاً على الضمير في أدعو، فهو دليل على اتباعه هم الدعاة إلى الله[(٢)].

وإن كان معطوفاً على الضمير المنفصل، فهو صريح أنَّ أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حق.

وقد بلغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستبصرين وسلك سبيله خير القرون. ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهوائهم، وافترقوا، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها، كما أخبر الصادق ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم....**»[(٣)].

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) ابن تيمية، موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول.

(٣) متفق عليه من حديث جمع من الصحابة، رواه الترمذي وقال سألت محمداً عنه بقصد الإمام البخاري فقال البخاري: سألت عنه علي يقصد ابن المديني، فقال: هم أهل الحديث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين الأئمة الأربعة، كأبي حنيفة رحمه الله، ومالك، والشافعي، وأحمد فقد قال الإمام أبو حنيفة[١] رحمه الله في كتابه المسمى بالفقه الأكبر، أنه ينبغي أن يكون الاهتمام به هو الأكثر، يقصد الفقه الأكبر، أي أصول الدين، لأنه مدار الإيمان ومبنى صحة الأركان ومعنى غاية الإحسان، ونهاية العرفان بعد البسملة المشتملة على مضمون «الحمد لله» إخبار في المبنى وإنشاءً في المعنى لله الجامع للصفات الحسنى والنعوت العليا.

ولكن في عصر أبي حينفة رحمه الله بدأ أهل الأهواء والبدع في إعمال عقولهم في الآيات التي تناولت الأسماء والصفات، فتركوا المنقول وما صح عن الصحابة والتابعين، فانسلخوا عن جادة الطريق التي عليها أهل السنة والجماعة، وكما أخبر به الصادق ووفق الواقع المطابق على ما رواه الترمذي وغيره أنه ﷺ قال: «**إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما**

(١) قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١٦٨/١: هو النعمان بن ثابت ابن زوطا التميمي، الكوفي، مولى بني تيّم الله بن ثعلبة، مولده ٨٠هـ رأى أنس بن مالك غير مرّة لما قدم عليهم الكوفة حدّث عن عطاء، ونافع، ومحمد الباقر تفقه به زفر، وداود الطائي، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو، والحسن اللؤلؤي، ونوح الجامع، وعدة، وقد فقه بحماد بن أبي سليمان وغيره، حدّث عنه وكيع، وعبد الرزاق، وأبو نعيم شيخ البخاري، وكان إماماً ورعاً عاملاً كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل، ضربه يزيد بن عمر على القضاء فأبى أن يكون قاضياً، توفي رحمه الله ١٥٠هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنا عليه وأصحابي»[(١)].

وفي رواية أحمد وأبي داود عن معاوية ﷺ: «اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»[(٢)].

يعني أكثر أهل الملة فإن أمته عليه الصلاة والسلام لا تجتمع على الضلالة[(٣)] على ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام، وفي رواية عليكم بالسواد الأعظم، وعن سفيان رحمه الله، لو أن فقيهاً واحداً على رأس جبل لكان هو الجماعة ومعناه أنه حيث قام بما قام به الجماعة فكأنه جماعة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[(٤)] أي وحده وقد قيل:

وليس على الله بمستنكر: أن يجمع العالم في واحد وقد قال:

---

(١) إسناده حسن أخرجه أبو داود ٢٥٩٦ والترمذي ٢٦٤٠ وابن ماجه ٣٩٩٦ وأحمد ٢٣٣٢/٢ وصححه ابن حبان ٦٧٣١ ـ ٦٢٤٧، والحاكم ١٢٨/١، وأبو يعلى ٥٩١٠، ٣٩٩١ وابن أبي عاصم في السنة ٦٦ كلهم من حديث أبي هريرة، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٥٦٧، وأحمد ١٠٢/٤، وابن أبي العاصم في السنة كلهم من حديث معاوية وهو حديث صحيح بما قبله، وله شاهد آخر من حديث أنس عن ابن ماجه ٣٩٩٣ وأحمد ١٤٥/٣، وابن أبي عاصم ٦٤، والحديث له ست طرق أخرى منها من طريق أنس وشواهد عن جمع من الصحابة.

(٣) أخرجه الحاكم ١١٥١١ ـ ٢١١٦ والطبراني في الكبير ٢٠٩/٣ ـ وابن أبي عاصم في السنة ٨ من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ولفظه: «ما كان ليجمع هذه الأمة على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة هكذا فعليكم بسواد كذا الأعظم، فإنه من شذ شذ في النار».

(٤) النحل: ١٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن عباس ﷺ: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[١]، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٢].

وأما ما وقع من كراهة أكثر أهل السلف وجمع من الخلق ومنعهم من علم الكلام الذي جاء به المبتدعة، وما تبعه من المنطق وما يقر به من المرام.

حتى قال الإمام أبو يوسف[٣] لبشر المريسي[٤] العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وكأنه أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع أو أراد به الإعراض عنه.

وعنه أيضاً:

من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء

---

(١) أخرجه الحاكم ٣٨١/٢ وصححه ووافقه الذهبي من طريق محمد بن فضل بن غزوان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٣١١/٤ والبيهقي في شعب الإيمان، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف.

(٢) سورة طه: ١٢٣.

(٣) هو الإمام المجتهد العلامة المحدث كبير القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، صحب أبا حنيفة سبع عشرة سنة، وتفقه عنه، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم. توفي ١٨٢هـ، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨ ـ ٥٣٩.

(٤) هو بشر بن غياث المريسي، أبو عبد الرحمن العدوي، مولاهم البغدادي، فقيه متكلم، معتزلي رأس الطائفة المريسية، أخذ الفقه عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، روى عنه حماد بن سلمة وغيره توفي ٢١٨هـ قال عنه الذهبي مبتدع ضال لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة ولم يدرك جهم بن صفوان وإنما قلد مقالته في خلق القرآن واحتج بها ودعا إليها، سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفلس، ومن طلب غريب الحديث فقد كذب[١].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله[٢]: حكمي في العشائر والقبائل، يقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة وقال أيضاً:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
لعلم ما كان فيه قال: حدثنا وسوى ذاك وسواس الشياطين[٣]

ومن كلامه أيضاً لأن يلقى الله العبد بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، وقال: لقد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، وقد قال الجلال السيوطي[٤] إنه يحرم علوم الفلسفة كما المنطق لإجماع السلف وأكثر المفسرين المعتبرين من الخلق، وممن جرح بذلك ابن الصلاح[٥]

---

(١) أخرجه البغدادي في: شرف أصحاب الحديث، وأورده الذهبي في السير ٥٣٧/٨ في ترجمة أبي يوسف، وهو في ذك الكلام للهروي ١/١٠٤/٦.
وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٨/١) وأقبل على الكلام، وقول الشافعي ذكره البيهقي في مناقب الشافعي ٤٦٢/١، وقول الشافعي ذكره البيهقي في مناقب الشافعي ٤٦٢/١، والخطيب في شرف اصحاب الحديث ٢١٦٨، وابن حجر في توالي التأسيس ص٤٦ والذهبي في السير ٢٩/١٠.

(٢) الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس الشافعي عالم عصره، وناصر الحديث وفقيه الملة أبو عبدالله القرشي توفي ٢٠٤هـ، سير أعلام النبلاء: ٩٩/١٠.

(٣) البيتان منسوبان للشافعي في طبقات السبكي ٢٩٧/١، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٤/١٠.

(٤) هو الإمام المجتهد الحافظ عبدالرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الأسيوطي المصري الشافعي الملقب بجلال الدين المولود ٨٤٩هـ المتوفى ٩١١هـ.

(٥) الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنووي[١] وخلق لا يحصون.

وذكر الحافظ سراج الدين القزويني[٢] من الحنفية في كتاب ألفه في تحريمه.

أن الغزالي[٣] رجع إلى تحريمه بعد بنائه عليه في أول المنتقى وإلى تحريم ذهب الشافعي، ومحمد[٤]، ومالك[٥]، وأحمد بن حنبل[٦]

= الشهرزوري الشافعي ولد سنة ٥٧٧هـ توفي ٦٤٣هـ ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ.

(١) هو الإمام المحدث الفقيه يحيى بن شرف النووي الدمشقي ولد ٦٣١هـ صاحب التصانيف القيمة العظيمة أشهر آثاره المجموع شرح المهذب روضة الطالبين ـ شرح صحيح مسلم وغيرها من التصانيف الكثيرة القيمة توفي ٦٧٦هـ.

(٢) هو عمر بن عبدالرحمن الفارسي سراج الدين أبو حفص القزويني توفي ٧٤٥هـ من تصانيفه العظيمة (الكشف عن الكشاف للزمخشري) المسلم ابتلى ببحث المنطق.

(٣) هو الشيخ أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف الكثيرة من الفقه والفلسفة والرقائق توفي ٥٠٥هـ، السير ٢٠٤/١٩ وفي كتبه مؤاخذات نبه عليها أهل العلم، وذكر معظمها الإمام الذهبي في ترجمته.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني أصله من دمشق تولد ١٣١هـ ونشأ في الكوفة وصحبه أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه وروى موطأ مالك. وخلطه ببعض الأحاديث الضعيفة لينتصر للمذهب.

(٥) هو حجة الأمة شيخ الإسلام إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبعي المدني تولد ٩٣هـ أخذ عن علماء المدينة الكبار مثل ربيعة الرأي، وابن شهاب الزهري، ونافع مولى ابن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروةو وأبي الزناد وعبد الله بن دينار وطبقتهم توفي ١٧٩هـ سير أعلام النبلاء ٣/٨، وتذكرة الحفاظ ٢٠٧/١، الكاشف ٥٣٢٩/٣ إجماع العلم للشافعي ٢٤٢، طبقات ابن سعد ٢٥٠/٩.

(٦) هو إمام أهل السنة قامع البدعة الذي دخل الفتنة فخرج منها ذهباً خاصاً، الإمام الحافظ المحدث أبو عبدأب أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن عدنان الشيباني المروزي البغدادي، سمع سفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، ويحيى=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسفيان[١]، وجميع أئمة الحديث من السلف رحمهم الله جميعاً، وروى عن هؤلاء جيمعاً أنهم قالوا: نسكت عما سكت عنه الصحابة مع إقرار بأن الصحابة أعرف بالحقائق وأنصح في ترتيب الألفاظ من سائر الخلائق إلا لما يتولد منه الشر ولذا قال ﷺ: «**هلك المتنطعون**»[٢].

وقد جاء في غنية المفتي عن أبي يوسف أنه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وإن تكلم بحق لأنه مبتدع، ولا تجوز الصلاة خلف المبتدع، قال الإمام الزاهدي[٣] كان أبو حنيفة رحمه الله يكره الجدل على سبيل الحق، حتى روى عن أبي يوسف رحمه الله أنه قال كنا

= القطان، وهشيماً ووكيعاً وابن علية، وابن مهدي، وعبدالرزاق، عن الربيع بن سليمان. قال: قال لنا الشافعي: أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقه، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة، وروى أيضاً عن الشافعي أنه قال: عند قدومه إلى مصر من العراق ما خلفت في بالعراق أحداً يشبه أحمد. تهذيب الكمال (٣٥/١)، تهذيب التهذيب (٧٢/١) خلاصة تهذيب الكمال (٢٩/١٠) الكاشف (٦٨/١) تاريخ البخاري الكبير، (٥/٢) تاريخ بخاري الصغير (٣٧٥/٢) سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١.

(١) هو شيخ الإسلام، الإمام الحافظ، سيد العلماء العاملين في زمانه سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد، أمير المؤمنين في الحديث توفي ١٦١هـ له ترجمة حافلة في سير أعلام النبلاء ٧ رقم ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٠، أبو داود ٤٦٠٨، وأحمد ٣٨٦/١ من حديث عبدالله بن مسعود، والمتنطعون: قال الخطابي في معالم السنن ٣٠٠/٤: المتنطع: المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم، وقال ابن الأثير هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً.

(٣) هو مختار بن محمود أبو الرجاء نجم الدي الزاهدي الغرميني ـ نسبه إلى غرمين من قصبات خوارزم الحنفي المتوفى ٦٥٨هـ كان من كبار الأئمة والأعيان الفقهاء عالماً كاملاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جلوساً عند أبي حنيفة ـ إذ دخل عليه جماعة في أيديهم رجلان فقالوا: إن أحد هذين يقول إن القرآن مخلوق، وهذا ينازعه ويقول: هو غير مخلوق قال: لا تصلوا خلفهما، أما الأول فنعم فإنه لا يقول بقدم القرآن، وأما الآخر فما باله لا يصلي خلفه؟ فقال: إنهما يتنازعان في الدين، والمنازعة في الدين بدعة، كذا في مفتاح السعادة(١).

وقال الشافعي رحمه الله: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام، ولا دين له.... وقال أيضاً لو علم الناس ما في هذا الكلام من الأهواء لفروا منهم فرارهم من الأسد(٢). وقال مالك رحمه الله: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، فقال بعض أصحابه في تأويل ذلك(٣)، أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا ومنها أنه يؤدي إلى الشك، وإلى التردد فيصير زنديقاً بعدما كان صدّيقاً... فروى عن أحمد بن حنبل أنه قال: علماء الكلام زنادقه، وقال أيضاً: لا يصلح صاحب الكلام أبداً ولا نكاد نرى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه زغل، ولقد بالغ فيه حتى هجر الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة وقال:

---

(١) هو مفتاح السعادة في الفروع، وهو كتاب مشتمل على العبادات وألفاظ الكفر والاستحسان فقط وختمها بالإيمان والتوبة، لكمال الدين بن أسايس الشرواني.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٩٥/١.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين ، ٩٥/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويحك لست تحكي بدعتهم أولًا ثمّ ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة، والتفكر في الشبهة فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث[١].

وخلاصة الكلام وسلاسة المرام أن العقائد الصحيحة وما يقويها من الأدلة الصريحة كما تؤثر في قلوب أهل الدين وتثمر في القلب وتقسيه وتبعده عن حضور الرب وتسود وتضعف يقينه وتزلزل دينه، بل هي أقوى أسباب سوء الخاتمة نسأل الله العفو والعافية. ألا ترى إن الشيطان إذا أراد أن يسلب إيمان العبد بربه فإنه لا يسلبه منه إلا بإلقاء العقائد الباطلة في قلبه، ومنها الخوض في علم الكلام وترك العلم بأحكام الإسلام المستقاة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة حتى إن بعضهم يجتهد ثلاثين سنة ليصير كلامياً، ثم يدرس فيه ويتكلم بما يوافقه ويدفع ما ينافيه ولو سئل عن معنى آية أو حديث أو مسألة مهمة من الفروع المتعلقة بالطهارة والصوم والصلاة كان جاهلاً عنها وساكتاً فيها مع أن جميع العقائد الثابتة موجودة في الكتاب قطعياً، لذا قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[٢] أي القرآن كفاية لهم في الموعظة في أمر معاشهم ومعادهم، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[٣] أي القرآن تدوم تلاوته عليهم في كل زمان ومكان مع علمهم أنك أمّي لا تقرأ ولا تكتب ومنها أن مئآل علم

(١) الملا علي القاري، شرح الفقه الأكبر، دار الكتب العلمية.
(٢) سورة إبراهيم: ٥٢.
(٣) سورة العنكبوت: ٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكلام والجدل إلى الحيرة في الحال والضلال والشك في المئآل كما قال ابن رشيد الحفيد وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم في كتابه «تهافت التهافت»[١] ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به، وكذلك قال الآمدي[٢].

أفضل أهل زمانه الواقف في المسائل الكبار جائر، وكذلك الغزالي انتهى آخر أمره إلى التوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث رسول الله ﷺ فمات والبخاري على صدره، وكذا الرازي: أيضاً رجع عن أقواله إلى قول السلف الصالح فهو أسلم للعقل وأكمل للإيمان.

وكذا قال الشهرستاني[٣] رحمه الله إنه لم يجد على الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم[٤].

---

(١) تهافت التهافت ص٨٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين كان أول اشتغاله حنبلي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وتعلم في بغداد والشام وانتقل إلى القاهرة فدرس فيها ثم خرج إلى حماه ثم إلى دمشق توفي ٦٣١هـ سير أعلام النبلاء ٣٢٢ رقم ٢٣٠.

(٣) هو محمد بن عبدالكريم الشهرستاني من فلاسفة الإسلام كان إماماً في علم الكلام على مذهب الأشعري من تصانيفه «الإقدام في علم الكلام». سير أعلام النبلاء، ٢٠/رقم ١٩٤.

(٤) وقد رد عليها بيتن محمد ب إسماعيل الأمير كما وجد بخطه بها أصل «درء تعارض العقل والنقل» ١٥٩/١ هما:
=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذا قال الجويني[١] يا أصحابنا لا شتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم وطلبت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا أموت على عقيدة أمي أو قال على عقيدة عجائز أهل نيسابور[٢].

كان أهل إستقراء لكلام العلماء وآرائهم في ذم علم الكلام وذم من تكلم به، ورجوع بعضهم عما اعتقده من فلسفة زاغت به عن جادة الطريق وابعدته، رحا من الزمن عن عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وسفيان والبخاري وغيرهم من علماء الأمة رحمهم الله جميعاً حيث أمسكوا ولم يخوضوا وأحكموا عقولهم فيما تناقلوه بالنقل الصحيح والبدليل الصريح.

هذه عقيدتنا التي يجب على كل مسلم عاقل أن يتمسك بها ليسلم بها عقله ويكمل دينه فهي عقيدة الصحابة ومن تبعهم بإحسان والأئمة جميعاً إلا من زاغ قلبه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

= لعلم أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن لاقاه في كل عام
فما حاز ممن يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعاً سن نادم

(١) شيخ الشافعية عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري المعروف بإمام الحرمين توفي ٤٧٨هـ سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨.

(٢) الملا علي القاري، شرح الفقه الأكبر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقوال الأئمة الأربعة
في إثبات الأمور الغيبية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإمام أبي حنيفة

من المفيد قبل تفصيل الحديث عن الأئمة الأربعة معرفة السبب في اتخاذهم حجّة في معرفة الثوابت من العقيدة الراسخة، وفي تبيان مواقفهم وجهودهم وتضحياتهم لنصرة الحقّ، في زمن كثر فيه أهل الفرق والأهواء والعلوم والفلسفة وكثر الهرج والمرج.

فقد ذكرنا في الفصل السابق المنهج في إثبات الأمور الغيبية، خاصة، وأثبتنا أنّ الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وبعد وفاة النبيّ ﷺ كانوا يتلقُون نصوص القرآن الكريم وما ثبت في السنّة بالتصديق والتسليم ويقابلونها بالخضوع والحبّ والتعظيم، فلا يفرّقون فيها بين المتواتر والآحاد، بل أيقنوا بفطرتهم السليمة أن جميع ما صحّ وما ثبت عن رسول الله ﷺ هو وحي من عند الله ﷻ إلى سائر العباد، ولا بدّ لهم أن يصدّقوا خبره بشرط اليقين، ولا بدّ من تنفيذ أمره بكمال الانقياد.

فهل كان للأئمّة الأربعة جهود تثبت ذلك؟ وإن كانت لهم هذه الجهود فهل يجب أن نتبعهم في نهجهم في إثبات الأمور العقديّة؟ فالأمة اليوم تتّبعهم في الأمور التعبديّة والتشريعيّة، وفيما يعرف عن الفقهاء في الفكر الإسلامي أنهم اعتنوْا باستنباط الأحكام الشرعيّة من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدلّتها التفصيليّة، وقد سجّل التاريخ هذا الفقه في كتبهم باستفاضة. ترى هل نقلت عنهم أيضاً أمور تطال المجالات العقديّة والسياسيّة والأخلاقيّة، أم أنهم أغفلوا تماما هذا المجال؟

فالهدف من دراسة الأئمة الأربعة في رسالتي هذه هو تصديقهم لخبر الآحاد واعتبارهم أنه من الأمور العقديّة التي يجب أن يؤمن بها الإنسان. ليكون ذلك حجّة على هذه الأمّة اليوم كي يتّخذوا من أحكامهم التعبديّة والتشريعيّة ديدناً في محاكمهم ودور إفتائهم.

ولعل من أبرز الثوابت في حياة الناس أنهم لا يستغنون عن معتقد يولّد فكراً، وصدر عنه سلوك، بصرف النظر عن صحة هذا المعتقد أو عدم صحته.

فتلك طبيعة السلوك البشري؛ لذا لا يعدم الحديث في أي حضارة عن العقائد بشكل أو بآخر.

ولمّا كان الإسلام هو الدين عند الله، وكان متضمّناً للصحيح من العقائد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه وجدنا اهتماماً واضحاً بأمور العقيدة ومسائلها في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، وقد كفى المنهج القرآني والنبويّ المسلمين في هذا الصدد ففهموا المراد وعملوا به، الأمر الذي جعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا يختلفون في أمور العقيدة اختلافهم في مسائل الفقه. لكن هذا الأمر لم يستمرّ طويلاً، رغم وجود المصدر من الكتاب والسنة، ذلك أنه جرت ظروف وبرزت أحداث أوجدت جدلاً حول بعض المسائل العقدية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبعد حادثة التحكيم نشأت فرق الخوارج وظهرت الشيعة، والمرجئة، ثم تبعها بعد زمن ظهور فرق أخرى كالمعتزلة والأشاعرة، ومنذ الفرق الأولى بدأ الحديث عن المسائل العقدية(١).

وعند البحث في جهود الفقهاء الأربعة للإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل ـ نرى جهودهم الضخمة وتضحياتهم الكبرى في جمع كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. ونظراً لظهور الوضّاعين وأهل الأهواء الذين افتروا على رسول الله ﷺ وقالوا ما لم يقله، فقد اشترطوا في نقل السنّة معرفة الإسناد، وقالوا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وبات علم الإسناد هذا والقواعد العلمية التي شرطها علماء الحديث لقبول الأخبار من أعظم مفاخر المسلمين على غيرهم من أمم الدنيا، وبه حفظ الله هذا الدين من عبث العابثين، ومن أن يتكدّر نبعه الأصيل أو يتلبس فيه الحق بالباطل(٢).

فها هو الشافعي ينتصب كالطود الشامخ، يدافع عن العقيدة الصحيحة، ويحذّر الناس من الوقوع في براثن الفلسفة اليونانية وعلم الكلام، ويقول: «لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء»(٣).

---

(١) أبو اليزيد أبو زيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٣.

(٢) عدنان أمامة، **التجديد في الفكر الإسلامي**، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، طبعة أولى، ١٤٢٤هـ، ٩١.

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، العاشر، ٢٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعدّ الشافعي أول من صنّف في أصول الفقه، وأرسى قواعده بلا اختلاف ولا ارتياب، وذلك في كتابه «الرسالة»، ويقول أحمد شاكر محقّق الكتاب: «وليس كتاب الرسالة أول كتاب أُلّف في علم أصول الفقه، بل هو أول كتاب في علم أصول الحديث، لأن ما عرضه الشافعي في كتاب الرسالة من بيان لحجيّة خبر الواحد، وشروط صحة الحديث، وعدالة الرواة، ورد خبر المرسل والمنقطع وإلى غير ذلك، هو أدق وأغلى ما كتب العلماء في أصول الحديث، بل إن المتفقّه في علوم الحديث يعرف أن ما كتب بعده إنما هو فروع منه وعالة عليه وأنه جمع ذلك وصنّفه على غير مثال سبق»[(١)].

نشأته وقدراته وصفاته الشخصية: ـ

قال عنه الحافظ الذهبي: «الإمام فقيه الملّة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت ابن زوطي التميمي، الكوفي، مولى بني تيّم الله بن ثعلبة، يقال: إنّه من أبناء فارس». ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك[(٢)] لما قدم عليهم الكوفة[(٣)].

---

(١) الشافعي، **الرسالة**، ١٣.

(٢) مالك بن أنس بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم وصاحبه، وأمّه أم حرام مليكة بنت ملحان...، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، مات وله مائة وسبع سنين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته، قيل سنة ٩٠ وقيل ٩٢ وقيل ٩٣ والله أعلم. انظر **البداية والنهاية**، ١٠ ـ ٩٧.

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨)، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ٦ ـ ٣٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نشأ الإمام أبو حنيفة بالكوفة وعاش أكثر حياته فيها، وكان بين أسرة تشير الشواهد أنّها مسلمة من جهة، وأنّها ذات يسار من جهة أخرى، فلعل والد أبي حنيفة كان تاجرا يكسب قوت أسرته من تجارة الخزّ التي احترفها أبو حنيفة النعمان. والعراق قبل الإسلام ومن بعده ـ موطن الملل والنحل ـ إذ كان موطنا لمدنيّات وحضارات قديمة، وكان السريان قد انتشروا فيه، وأنشأوا لهم مدارس، قبل الاسلام، كانت مثابة لفلسفة اليونان وحكمة الفرس، وكانت في العراق آراء تتضارب في السياسة وأصول الاعتقاد.

ولد الإمام أبي حنيفة في عهد الإمام الخليفة عبدالملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ، في عهد بني أميّة(١).

حيث سقطت دولة الخلافة الأموية سنة **١٣٢**هـ، في عهد مروان الثاني (بن محمد الجعدي)، وقيام دولة الخلافة العبّاسية، فعاصر أبو حنيفة دولة الخلافة الأمويّة ودولة الخلافة العبّاسية الأولى، ومع أنّ الدولة الأمويّة قد حقّقت أمجاداً رائعة في مجال الفتوحات وانتشار الإسلام، فقد اشتهر الإمام أبو حنيفة في بداية عهده إلى الأخذ بالرأي، فقد كان عارفا بأحوال الحياة، مستوعبا ثقافة كل من سبقوه ومن عاصروه، خبيرا بالرجال، شديداً على أهل الباطل، مرير السخرية بالمزيّفين، لاذعا مع المنافقين من متعاطي الفقه والعلم

(١) استلم الخلافة معاوية بن أبي سفيان، بعد أن تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة له، إيذانا ببداية مرحلة سياسية جديدة من مراحل التاريخ الإسلامي، تقلّد فيها الأمويين الجكم. انظر **تاريخ الدولة الإموية**، د. محمد سهيل طقوش، بيروت، دار النفائس، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ط١، ٢٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والثقافة في عصره، وهو عصر غريب حقا، عصر مليء بالتطرف، وهو العصر الباهر بالفتوحات والثراء الفكريّ، وهو في الوقت نفسه عصر الصعاليك الكبار، عصر غامر بالبطولات والأحلام والخطر والغنى الروحي، عصر مفعم بأصداء المأساة، والأحزان، عصر ملتهب بالأشواق إلى العدل وبالحنين إلى الرحمة والصدق والإحسان.

التقى أبو حنيفة بأنس بن مالك المتوفى في سنة **٩٣** للهجرة وكان عمره **١٣** سنة. رأى أبو حنيفة آثار الصحابة ورأى تلاميذ عبدالله بن مسعود الذي كان مدرسة فقهيّة في العراق حيث نشأ الإمام أبو حنيفة وترعرع[١]

استقبلت الكوفة أبا حنيفة وكانت آنذاك حاضرة من حواضر العلم، تموج بحلقات الفقه والحديث والقراءات واللغة والعلوم، وتمتلئ مساجدها بشيوخ العلم وأئمته، وفي هذه المدينة قضى أبو حنيفة معظم حياته متعلّما وعالما[٢].

وتردّد في صباه، بعد أن حفظ القرآن، على هذه الحلقات، لكنّه كان منصرفا إلى مهنة التجارة مع أبيه. وظل كذلك حتى نصحه الشعبي[٣]

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٦، ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ٦، ٢٢١.

(٣) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، من همدان ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان ﷺ ومات سنة أربع ومائة، وقيل سنة سبع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام. انظر **طبقات الفقهاء** لأبي اسحاق الشيرازي، بيروت، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأن يتفرّغ للعلم ولا يختلف إلى السوق إلّا لحاجة الحياة. روى أبو محمد الحارثي بسنده إلى الإمام إبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى قال: مررت يوما على الشعبي وهو جالس، فدعاني وقال: «عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإنّي أرى فيك يقظة وحركة. قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، ـ وأخذت في العلم، فنفعني الله تعالى بقوله[١]).

وفي العراق كانت الآراء متضاربة في السياسة وأصول العقائد، بين الخوارج والشيعة. ففي عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه عام ٣٠ هـ، بدأت الفتنة في الظهور، وكانت مدينة الكوفة مركز الشغب والفتن في بدايات تاريخ المسلمين، حيث بدأت الفتن بين المغرضين والخبثاء والخارجين على الإمام، وبعض الشباب المخالف المرتكب للمحرمّات. ونظّمت مجموعة من أعداء الإسلام الموتورين من اليهود والنصارى والمجوس «جمعيّة سريّة» خبيثة، وكان على رأسها يهوديّ من يهود اليمن، ادعّى الإسلام في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وزعم أنّه صار من المسلمين... إنّه اليهودي «عبدالله بن وهب بن سبأ» المعروف بابن السوداء، لأنّ أمّه كانت سوداء، ويعرف أتباعه باسم السبئيين، ولهم الدور الأوّل في الخروج على عثمان رضي الله عنه ثم قتله، وبعد ذلك الخروج على عليّ رضي الله عنه وأرضاه، ثم قتله[٢].

---

(١) محمدأبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الحديث، دون طبعة، ١٩٨٧، ٣٤٩ ـ ٣٥٩ بتصرّف. ومحمد بلتاجي، **مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري**، القاهرة، دار السلام، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٩٩.

(٢) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ٣١٠هـ، **تاريخ الطبري**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٤٧/٥. وأبي الحسن الأشعري ت٣٣٠هـ، **مقالات**=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اتجه الإمام أبو حنيفة إلى دراسة علم الكلام حتى برع فيه براعة مكّنته من مجادلة أصحاب الفرق المختلفة ومحاجاتهم في بعض مسائل العقيدة، ثم انصرف إلى الفقه ولزم حمّاد بن أبي سليمان(١)، وطالت ملازمته له حتى بلغ ثمانية عشر عاما، وانهى إليه الفقه وتقلّد زعامة مدرسة الرأي من بعد شيخه، والتف حوله الراغبون في الفقه، وبرز منهم أبو يوسف(٢)(٣)،

= **الإسلاميين** بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار أوسقها، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٨٥. عز الدين أبو الحسن ابن الأثير، (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ)، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، **الكامل في التاريخ**، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية، د.ط، د.ت، ٣٩١. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم، المتوفي سنة ٥٤٨هـ، **الملل والنحل**، صححه الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار السرور، بيروت، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ٢٨٩. أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الحديث، ١٩٨٧، ٣٨. الإسفراييني، محمد، **لوامع الأنوار**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ١/٨٠.

(١) حماد بن أبي سليمان: مولى ابراهيم بن أبي موسى الأشعري. قال أحمد: مقارب ما روى عنه القدماء سفيان وشعبه. وقال أيضا سماع هشام منه صالح. قال: ولكن حمّاد يعني ابن سلمة عنده عنه تخليط كثير. وقال ابن شبرمة: ما أحد أمّن عليّ بعلم من حمّاد. وقال معمر: ما رأيت أفقه من هؤلاء الزهري، وحماد، وقتادة. توفي سنة عشرين ومائة. انظر **تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني**، ٣/١٤.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الكوفي (١١٣ ـ ١٨٢). هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأوّل من نشر مذهبه، وهو أوّل من دعي «قاضي القضاة» في عهد الرشيد، كان له الفضل الأكبر على مذهب أبي حنيفة في تدوين أصوله، ونشر آرائه في أقطار الأرض، وكان مجتهدا مطلقا. انظر **شرح الفقه الأكبر** لأبي حنيفة النعمان، الملا علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعّار، بيروت، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٢٣، في الحاشية وانظر د.وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلّته**، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٩م، ٣٠.

(٣) محمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ ـ ١٨٩هـ)، ولد بواسط، وكان والده من أهل حرستا بدمشق، ونشأ بالكوفة، وعاش في بغداد، وتوفي بالري، تفقه أولا على أبي=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وزفر[١]، وعملوا معه على تكوين المذهب الحنفي. إنّ الظمأ إلى المعرفة جعله يرتاد حلقات العلماء في مسجد الكوفة، وكان بعضها يتدارس أصول العقائد (علم الكلام)، وبعضها الأحاديث النبوية، وبعضها الفقه وأكثرها للقرآن الكريم، ثم مضى ينشد العلم في حلقات البصرة. وبهرته حلقة علماء الكلام، لما كان يثار فيها من جدل مستقل يرضى فتوته. ولزم أهل الكلام ثم عدل عنهم إلى حلقات أخرى. وكان أكثر ما اشتهر به الفقه ويليه الحديث، يقول الإمام الذهبي[٢]: السبب في دراسته لعلم الكلام هو الجدل الدائر بين الفرق المختلفة من شيعة[٣]، وخوارج[٤]،

= حنيفة، ثم أتمّ تعلمه على أبي يوسف، ولازم مالك بن أنس مدّة، وانتهت إليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبي يوسف، وكان نابغة من أذكياء العلم ومجتهدا مطلقا، صنّف التصانيف الكثيرة التي حفظ بها فقه أبي حنيفة، فهو صاحب الفضل في تدوين المذهب الحنفي وكتبه «ظاهر الرواية» هي الحجة المعتمدة عند الحنفية.

(١) أبو هذيل، زفر بن هذيل بن قيس الكوفي (١١٠ ـ ١٠٨هـ)، ولد في أصبهان، وتوفي بالبصرة، كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي، ومهر في القياس، حتى صار أقيس تلامذة أبي حنيفة وأصحابه، وكان مجتهدا مطلقا. انظر الفقه الإسلامي وأدلّته، د. وهبة الزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٩م، ٣٠.

(٢) الذهبي، الحافظ شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيقه مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م، ٦، ٢٢٢.

(٣) الشيعة: أصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنّه يتولّى عليا ﷺ وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصّا، وأصلهم من أتباع عبدالله بن سبأ كما تقدم. انظر: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، الإمام محمد أبو زهرة، ٣٣.

(٤) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمّى خارجيا، ونشأت الخوارج عن طريق ذو الخويصرة رجل من بني تميم خرج على النبي ﷺ وخرجت الخوارج على علي بن أبي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين. انظر **تاريخ المذاهب الإسلامية**، الإمام أبو زهرة، ٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعتزلة[١]، وفي سنة ١١٠هـ اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري[٢]، ـ وهو من علماء السلف الصالح ـ فجاء إلى الحلقة رجل من عامّة المسلمين يسأل عن الحكم الشرعي في مرتكب الكبيرة؟. ومعلوم أنّ أهل السنة يقولون بأنّ مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، لا يخرج من الملّة. والخوارج يقولون: مرتكب الكبيرة كافر بالله العظيم مخلد في النار، وقبل أن يجيب الشيخ البصري قام واصل ين عطاء وقال: إنّ الفاسق من هذه الأمّة لا هو مؤمن ولا هو كافر، هو في منزلة بين المنزلتين[٣].

لقد اكتشف عندما نضج أنّ السلف كانوا أعلم بأصول العقائد ولم يجادلوا في هذا الجدل. ومن الخير أن يهتم بالتفقّه في القرآن الكريم والحديث. وانتهت به رحلاته بين البصرة والكوفة إلى العودة إلى موطنه بالكوفة، وإلى الاستقرار في حلقات الفقه، لمواجهة الأقضية الحديثة التي استحدثت في عصره، ولدراسة طرائق استنباط الأحكام.

---

(١) المعتزلة: قيل إنّ واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي فثارت مسألة مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفا الحسن: أنا أقول أنّ صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن، واتخذ له مجلسا آخر في آخر المسجد. انظر **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة، ١٢٤.

(٢) الحسن البصري: هو أبو سعيد البصري الإمام الفقيه المشهور، أحد التابعين الكبار الأجلّاء علما وعملا وإخلاصا، ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وأتى به فدعا له وحنكّه. ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة، والله سبحانه أعلم. انظر **البداية والنهاية** لابن كثير، ٩/٢٨٥.

(٣) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ١، ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أصول مذهب الإمام أبي حنيفة: ـ

كان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: **آخذ ما في كتاب الله وبما صح عن رسول الله** ﷺ وربما اشترط زيادة عن الصحّة والشهرة فيما تقتضيه من الأحكام والمسائل، **فإن لم أجد بقول الصحابة، آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم عندما يختلفون**، ولكنّي ألزم نفسي بالأخذ من الصحابة وإذا آل الأمر إلى إبراهيم النخعي[(١)]، وإلى التابعين كالأوزاعي[(٢)]، **فإنّي أجتهد كما اجتهدوا ولا ألزم نفسي بإتباع رأي واحد منهم ما دام الأمر اجتهاديا. وكان يأخذ بحديث الآحاد ويعمل به ما أمكن**. فهمّه أنّ بحوث العقيدة هي الفقه الأكبر، وقد جاءت تسمية بعض آثاره بهذا الاسم، وقال أبو حنيفة: «والفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربّه خير له من أن يجمع العلم الكثير». قال أبو مطيع: قلت فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال

---

(١) إبراهيم بن يزيد ين الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي. قال أحمد: مات سنة ست وتسعين. وقال الشعبي حين بلغه موت إبراهيم: أهلك الرجل؟ قيل له نعم، قال: لو قلت أنعي العلم، ما خلف بعده مثله والعجب له حين يفضل ابن جبير على نفسه وسأخبركم عن ذلك، إنّه نشأ في أهل بيت فقه فأخذ فقههم ثم جلسنا فأخذ صفو حديثنا وإلى فقه بيته فمن كان مثله؟ انظر **طبقات الفقهاء** لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي، ٨٢.

(٢) الأوزاعي عبدالرحمٰن: ولد سنة ثمان وثمانين ومات سنة سبع وخمسين ومائة. وكان من سبي أهل اليمن ولم يكن من الأوزاع، ومات وله ستون سنة. وسئل عن الفقه وله ثلاث عشرة سنة، وقال عبدالرحمٰن بن مهدي: ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي. وقال هقل بن زياد: أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة. وروى أنّ سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي فخرج حتى التقاه بذي طوى، أخذ عنه العلم أبو اسحاق الفزاري وعبدالله بن المبارك. انظر **طبقات الفقهاء** لأبي اسحاق الشيرازي الشافعي، ٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبو حنيفة: «أن يتعلّم الرجل الإيمان بالله، والشرائع، والسنن، والحدود، واختلاف الأمّة واتفاقها»[(١)]. وقد أثبت أبو حنيفة موقفه من فهم الصفات الإلهية في الفقه الأكبر، أصل التوحيد وما يصحّ الاعتقاد عليه يجب أن يقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشرّه من الله تعالى، والحساب والميزان، والجنّة والنار، حق كلّه. والله تعالى واحد لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنّه لا شريك له ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾. لا يشبهه شيء من الأشياء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتيّة والفعليّة. لم يزل عالما بعلمه، والعلم صفته في الأزل، وقادرا بقدرته، والقدرة صفته في الأزل، ومتكلّما بكلامه والكلام صفته في الأزل، وخالقا بتخليقه والتخليق صفته في الأزل، وفاعلا بفعله والفعل صفته في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفته في الأزل، والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق، وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال إنّها مخلوقة، أو محدثة، أو وقف أو شكّ فيها فهو كافر بالله تعالى. والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي منزّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا وقراءتنا له مخلوق والقرآن غير مخلوق. يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويسمع لا كسمعنا،

(١) الإمام محمد أبو زهرة، **أبو حنيفة حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ط٢، ٢٠٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويتكلم لا ككلامنا، ونحن نتكلّم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلّم بلا آلة، ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق. وهو شيء لا كالأشياء، وله يد ووجه ونفس، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو صفات له بلا كيف، ولا يقال إنّ يده قدرته أو نعمته، لأنّ فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والإعتزال، ولكنّ يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف. خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدّر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا والآخرة شيء إلّا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم(١).

أمّا منهجه في رواية السنة، فكان مبحث السنّة عند أبي حنيفة أهم المباحث التفصيلية في منهجه كلّه، **منهجه في قبول أو ردّ ما يرويه من حديث منسوب لرسول الله ﷺ: ـ أوّلا: المتواتر: كان يرى أنّ أوّل أقسام السنة هو الحديث المتواتر الذي وصل إليه عن رسول الله ﷺ بلا شبهة حتى صار كالمسموع منه**، وذلك بأن يرويه في الطبقات الثلاث الصحابة والتابعون وتابعو التابعين منذ عصر الرسول ﷺ، قوم لا يتوهّم تواطؤهم على الكذب، لكثرتهم وعدالتهم تباين أماكنهم.

ثانيا: المشهور المستفيض: كان يقسم الأحاديث غير المتواترة

(١) الملّا علي بن سلطان القاري، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعّار، **شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان**، بيروت، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠٩م، ١٥ ـ ١٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى قسمين رئيسيين: الأخبار **المشهورة المستفيضة، وأخبار الآحاد** التي لم تصل إلى حد الانتشار. **فالمشهور المستفيض من الأخبار، هو في أصله خبر آحاد، لكنّه انتشر بعد ذلك وتلقّاه العلماء بالقبول فصار ينقله قوم لا يتوهّم تواطؤهم على الكذب في الطبقة الثانية بعد الصحابة، وهكذا بعدهم، ورواه قوم ثقات أئمة لا يتهمون، فصار بشهادتهم وتصديقهم بمنزلة المتواتر**[(١)] **. وأبو حنيفة يقبل هذا النوع من الأحاديث كما يقبل المتواتر من دون شروط.**

ثالثا: خبر الواحد: يشترط في رواة الأخبار الإسلام، والعقل والضبط والعدالة، وأهمية أن يكون الراوي صادقاً ليس بذي هوى يدفعه إلى الكذب فيها، وهذه الأقيسة لا يطبقها على الصحابة من رواة أخبار الآحاد، بل يطبقها فيمن تلاهم بعد ذلك ممن روي عنهم، وذلك أنّ صحابة رسول الله ﷺ، كلّهم عدول في الرواية عنه، كيف وهو يلتزم بمجموع آرائهم في المسألة فيما لا يعرفون القول فيما ينسب إلى النبي ﷺ، ويعتبره مصدرا تشريعيا لا يخالفه[(٢)] . لذا فإنّ عقيدة الإمام أبي حنيفة هي عقيدة السلف الصالح في عقيدتهم وسلوكهم.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) البخاري، الإمام علاء الدين (المتوفى ٧٣٠هـ)، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي** ٤٨٢، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، الثاني، ٦٨٩.

(٢) د. محمد بلتاجي، **مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري**، القاهرة، دار السلام، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإمام مالك بن أنس

أحد أعلام الإسلام إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو حليف بني تيّم من قريش(١).

روى عن عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوّام ونعيم بن عبدالله المحمد وزيد بن أسلم ونافع مولى ابن عمر. سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن أصح الأسانيد فقال مالك عن نافع عن ابن عمر وقال عليّ بن المديني عن ابن عيينة: ما كان أشدّ انتقاد مالك للرجال وأعلمه بشأنهم(٢) . ولد الإمام مالك سنة ثلاث وتسعين على أرجح الروايات، في المدينة المنورة. ثم ما لبث أن انتقل والده إلى المدينة

(١) الحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفي سنة ٧٤٨هـ، أشرف على تحقيقه مصطفى عبدالقادر عطا، **سيرأعلام النبلاء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤، ٦، ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) شهاب الدين العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، **تهذيب التهذيب**، حققه وعلّق عليه مصطفى عبدالقادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ط١، ١٠، ٥ ـ ٦. وشمس الدين الذهبي، المتوفي في ٧٤٨هـ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ط١، ٦، ٣٠٣ ـ ٣٤١ بتصرّف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاختار «العقيق» سكنا له، وكان العقيق آنذاك ضاحية على مبعدة نحو ميلين من المدينة ذات ماء وخضرة وبساتين.

أمّا النسب فعربيّ يمنيّ، هاجرت الأسرة على عهد جدّه وسميّه مالك المكنّى بأبي أنس[١] . انخرط الإمام مالك في سلك الدراسات الدينية، بوجوده في مدينة الرسول ﷺ المليئة بعلماء العصر، فضلا عن أمّ فاضلة تحسن التربية، وتجيد الاختيار والتوجيه. وجّهه أهل بيته إلى طلب العلم، وجرّه الشغف بالعلم إلى أن يبيع سقف بيته، ورأى أنّ تقديم أي شيء في سبيل العلم أمر مطلوب ولو أدّى ذلك إلى الفقر[٢] . بدأ مالك يطلب العلم صغيرا، فأخذ عن كثير من علماء المدينة، ولعل أشدهم أثرا في تكوين عقليّته العلميّة التي عرف بها، هو أبو بكر عبدالله بن يزيد المعروف بابن هرمز[٣]، فقد روي عن مالك أنّه قال: «كنت آتي ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل»[٤] . ولازمه مالك على هذا النحو سبع سنوات أو ثمان. ويروي

---

(١) مصطفى الشكعة، **الإمام مالك بن أنس**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٣، ٣. ومحمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره ـ آراؤه الفقهية**، القاهرة، دار الفكر العربي، لا.ت، ط٢، ٢٠ ـ ٢١.

(٢) أبو زيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، ١٩٧.

(٣) عبدالله بن يزيد بن هرمز، أخذ عنه مالك الفقه، قال مالك: كان من اعلم النّاس بما اختلف فيه النّاس من هذه الأهواء، كان من الطبقة الثانية من فقهاء المدينة، انظر **طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق الشيرازي، ص٦٦. وعياض، القاضي، المتوفى سنة ٥٤٤، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق أحمد بكير، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، لا.ت، المجلد الأول، ١٢٠.

(٤) **مقدمة موطأ الإمام مالك**، صححه ورقّمه وخرّج احاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطبري قال: حدثني محمد بن الحسن بن زبالة قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: كنت آتي ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخي الستر ثم يذكر أوّل هذه الأمّة ثم يبكي حتى تخضل لحيته[١]. ومن شيوخ مالك ابن شهاب الزهري، المتوفى سنة ١٢٤. وكان من أكابر علماء المدينة في عصره، ومن أوائل المدوّنين، وكان من رجال الأمويين بالشام، وتولّى لهم القضاء والفُتيا ورحل إلى المدينة فتزاحم عليه طلاب العلم يأخذون عنه ومنهم مالك[٢]. والمدينة آنذاك تعجّ بالعلماء من التابعين الأخيار وكانت مدرستها مسجد الرسول ﷺ. في أرجائه تنتشر حلقات العلم. ويجلس على رأس كل حلقة أحد العلماء المرموقين من أمثال ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن، وابن هرمز، ونافع، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر، وجعفر الصادق بن محمد الباقر رأس آل البيت. وكان العهد بعصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين وصحابته الأخيار غير بعيد. ومن ثم فالفتاوى باقية في الصدور. والأحاديث النبويّة محفوظة في القلوب ومرويّة على الألسن. وفقه عبدالله بن عمر وعبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيّب، وما سجّلوا من مسائل أو استنبطوا من أحكام لا تزال تروى في الحلقات جيلا بعد جيل. كل ذلك فضلا عن ثقة المسلمين بساكني دار الهجرة الذين تعلّموا على آثار مدرسة النبوّة. وورثوا شمائل الصحابة. وتداولوا أحكام الفقهاء عبر التابعين الأوّلين.

---

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**، ٩، ٢٢٩.

(٢) محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره ـ آراؤه الفقهية**، ط٢، ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حياة الإمام مالك، شهد العالم الإسلامي تطوّرات خطيرة كان لها أثرها القوي في الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية، ففي هذه السنوات نشطت دعوة العباسيين وتطوّرت هذه الدعوة إلى إنقلاب الحكومة، فسقطت دولة بني أميّة، وتولى العبّاسيّون الأمر. وسقوط دولة وقيام أخرى يؤدّي دائما إلى لون من الإضطراب بين النّاس، ويوجِدُ فيهم شيئا من عدم الطمأنينة، ومن تبلبل الأفكار، فمنهم من يتخذ التقية فيضمر غير ما يظهر، ومنهم من يستسلم للأمر الواقع، ولا يأبه بمجرى الأحداث حوله، ومنهم من يقوم مع الحكومة الجديدة ابتغاء التقرّب والزلفى لدى أولي الأمر، ومنهم من يؤازر الحركات التي ترمي إلى عودة الحكومة القديمة، وهذا ما حدث في التاريخ الإسلامي عند انتقال الحكم إلى العباسيين، على أن العباسيين لم يخشوا أمر الأمويين خشيتهم من حزب العلويّين، وكان الحجاز عامّة والمدينة خاصة وكراً للدعوة العلويّة، وفيها كان الإمام جعفر الصادق إمام الشيعة على اختلاف فرقها، وفيها خرج محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية سنة ١٤٥ هـ، وخرج معه عدد من علماء المدينة منهم ابن هرمز[١] أحد شيوخ مالك، أمّا مالك نفسه فكان مضطرا إلى أن لا يسهم في هذه الثورة مساهمة إيجابية، ذلك أنّ المنصور العبّاسي أرسله مع من أرسل إلى بني

(١) انظر ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨١٦، والطبري، **تاريخ الطبري**، ٩، ٢٢٩. و**تهذيب التهذيب** للعسقلاني، ١٠، ٧ ـ ٨. و**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ٦، ٣٠٢ ـ ٣٤٨. و**مقدمة الموطأ** للمحقق محمد فؤاد عبدالباقي، ٣٠. وأبو زهرة، محمد، **الإمام مالك**، ٥٢ ـ ٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحسن ليدفعوا إليه محمد وإبراهيم ابني عبدالله، فلما قام محمد وإبراهيم بالثورة، لم يسع مالك أن يشترك فيها وهو الذي كان رسولا لتسلّمهما بالأمس، وفي الوقت نفسه كان ينقم على المنصور جبروته وطغيانه، ولهذا كان يأتيه أهل المدينة يستفتونه في الخروج مع محمد (النفس الزكية) ويقولون إنّ في أعناقهم بيعة لأبي جعفر فيقول: إنّما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين[(١)].

تأثر الإمام مالك بابن هرمز، وأبرز الآثار لهذه التلمذة أو الصلة الطويلة أمران[(٢)]:

الأمر الأوّل: في المنهج، إذ إنّه إلى جانب ما أخذ من ابن

---

(١) وكان خروج ابن هرمز على العباسيين وانضمامه إلى محمد النفس الزكيّة حينما دعا محمد لنفسه وسعى إلى إمارة المؤمنين، وكان محمد في قمّة الصلاح والتقوى. وكان مزدانا بالعلم، موسوما بالخلق، وهو قبل ذلك كلّه أشبه آل البيت بسيدنا محمد ﷺ، ولذلك كان النفس الزكية يلقب «بمحمد الشبه»، هذا فضلا عن أنّ اسمه محمد بن عبدالله، خرج ابن هرمز مع محمد النفس الزكية عن عقيدة دينية، قاده إليها اجتهاده، وانتهى به إليها فكره. ذلك أنّ العلماء يكونون دائما متبوعين لا تابعين مهما سما قدر الحاكم، ومهما بلغ من فطنة أو جبروت. لكن استطاع العباسيون أن يقضوا على الحركة الحسينية، وعفوا عن ابن هرمز لكبر سنّه بعد انتصارهم وسحقهم للثورة. لكن تقدمه في السنّ لم يمنعه من مؤازرة حركة محمد الشبيه، وقد قيل لابن هرمز: والله ما فيك شيء ـ يعني لا يوجد فيك شيء يساعدك على الحركة ـ فكان يجيب قائلا: قد علمت، ولكن يراني الجاهل فيقتدي بي، ولم تمض عليه بعد ذلك إلّا سنوات أو أقل حتى كان قد انتقل إلى دار البقاء سنة ١٤٨ هـ. وقد تأثر مالك بابن هرمز في علمه وفقهه وورعه وتأنّيه في الإجابة على المسائل وقوله لا أدري إذا لم تكن الإجابة كما يحب، فقد تأثر بميوله السياسية على ما نرجح، واتخذ مواقف في السياسة العامّة شبيهة بتلك التي وقفها ابن هرمز.

(٢) العجمي، أبو اليزيد، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة، ١٩٩ ـ ٢٠٠.** وأبو زهرة، **محمد، الإمام مالك، ٢٦ ـ ٢٧.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هرمز في الفقه أخذ الحذر في الرأي والتثبّت قبل الإفتاء في مسألة ما. قال مالك: «سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري، حتى يكون ذلك أصلا في أجوبتهم، فإذا سئل أحدهم عمّا لا يدري قال لا أدري». وقد شهد لمالك كثير من علماء عصره بأنّه طبّق هذا المنهج في إجابته وتعليمه لجلسائه.

الأمر الثاني: تميّز ابن هرمز بإجادته الردّ على أهل الأهواء والبدع، وبيان ما اختلف فيه النّاس من هذه الأهواء، وأنّه كان سدّا في وجههم، وقد كان يرى البعض أنّ مالكا لم يتعمّق في هذا النوع من العلوم لمعرفته أنّه للخاصّة، لكن الحقيقة إنّ أثر علم شيخه قد وضح في مواقف مالك مع أهل الأهواء، ورسالته في الردّ على القدرية وما روي في سيرته من مواقف تدلّ على ما ذهبنا إليه، وبذا يكون ابن هرمز قد ترك أثره الطيّب على شخصيّة تلميذه في جزئيّة هامّة في المنهج. أمّا قول والدته أنه «تعلم من أدبه قبل علمه» فهو دليل على الأدب الفذّ الذي تحلّى به الإمام مالك.

أمّا ابن شهاب الزهري[١] . فهو من الفقهاء المحدثين وله من تاريخ علم الحديث مكانة حتى لقّب بأعلم الحفاظ، وكان يقول: «ما صبر أحد على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري»[٢] . لقي بعض صحابة رسول الله ﷺ وأخذ عنهم، وكان عمرو بن دينار وهو من التابعين قد سمع عنه وعن علمه، فكان يقول أي شيء عند الزهري؟

(١) توفي سنة ١٢٣ أو ١٢٤ أو ١٢٥هـ.

(٢) محمد أبو زهرة، الإمام مالك، ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقيت ابن عمر وابن عباس ولم يلقهما!! ثم قدم الزهري إلى مكة وسمع بذلك ابن دينار، وكان شيخا كبيرا مقعدا فقال: احملوني إليه، فحمل إليه ولم يعد إلى أصحابه إلا ليلا، فقالوا له كيف رأيته؟؟ فقال والإعجاب باد عليه، والله ما رأيت مثل هذا القرشي. وقد كتب عمر بن عبدالعزيز في الآفاق: «عليكم بابن شهاب فإنّكم لا تجدون أعلم بالسنّة منه». وأمره عمر بن عبدالعزيز بتدوين أحاديث رسول الله ﷺ[(١)] . . . ، قال ابن عبدالحكم: «قال لي مالك: كنا نأتي ابن شهاب في داره في بني الديل، وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها، نتدافع إذا دخلنا عليه».

بل كانت تتملّك مالك رغبة الانفراد بابن شهاب طلبا لما عنده من حديث، ورغبة في مزيد من التعلّم منه، وقد حصل من ابن شهاب على إجازة أو شهادة في الحفظ والرواية[(٢)] . وكذلك أفاد مالك من شخصية ابن شهاب العلمية، فقد كان ابن شهاب الزهري سخيّا جوادا حتى قيل عنه: «لم يكن الدينار والدرهم عند أحد أهون منه عند الزهري»[(٣)] . وقد ظهرت هذه الصفات في شخصيّة مالك بشكل واضح لمن يقرأ سيرة حياته.

ومن المشايخ الأعلام الذين أخذ عنهم مالك، الفقيه المحدّث نافع وهو مولى عبدالله بن عمر الذي خدمه ثلاثين سنة، ونقل عنه

---

(١) الإمام شمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٨)، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٨٣ ـ ٨٥.

(٢) أبو يزيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، ٢٠٠.

(٣) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علماً كثيراً. كان نافع متواضعا قليل الكلام وفي لسانه لكنة لكونه ديلميّا. ومع هذا فقد سمت مكانته ورفع قدره وخلّد في التاريخ بين فقهاء المسلمين ورواة حديث رسول الله ﷺ. لقد رفع الإسلام من شأنه، وسما العلم بقدره، وعظّم الحديث من مكانته إلى المدى الذي جعل الراشد الخامس الخليفة عمر بن عبدالعزيز يبعث به إلى أهل مصر لكي يعلّمهم السّنن. إنّ عبدالله بن عمر نشّأ مولاه نافعا على العلم، وفقّهه في الدين، وكان نافع من الذكاء والحذق بحيث أخذ الحديث عن ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين. وكان أعلم النّاس بفقه مولاه عبدالله بن عمر وابن عمر هو احد العبادلة الثلاثة الذين انتهت إليهم الرواية والأحكام.

وكان نافع بعد أن كبر يلقّب بفقيه المدينة، كما كان يلقّب بالإمام العلم. ولقد أفاد مالك من نافع فقها وحديثا، وأخذ عنه أحاديث ابن عمر، وكان مالك شديد الثقة في نافع بحيث كان يقول: «إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألّا أسمعه من أحد غيره». ومن هنا قال رجال الحديث: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وحين يتصل بالشافعي بهذه السلسلة فإنّها تسمى سلسلة الذهب»[(١)].

وبذلك أصاب مالك عن نافع سنّة وفقها، وأورد له في الموطأ ثمانين حديثا أو أكثر على الخلاف.

(١) مصطفى الشكعة، الإمام مالك بن أنس، ٢٤ ـ ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يقصر مالك جلوسه على هؤلاء فقط بل مال إلى أصحاب مدارس أخرى. فقد جلس مثلا إلى الإمام جعفر الصادق[١] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو المعروف بالتقى والورع والمسالمة، وجلوس مالك إليه كان غير مستَغْربٍ لما يتمتّع به جعفر الصادق من نسب شريف وسلوك مستقيم، وقد كان أثره على شخصية مالك في تكوينها وبخاصة من الناحية الخلقية. كان الإمام جعفر غزير العلم، وافر الحكمة، كامل الأدب، زاهدا ورعا، بعيدا عن الغلو، بريئا من التطرّف، لا يحب الاعتزال. لقد كان الإمام جعفر ـ على خلاف الشيعة المتأخرين ـ يؤمن بخلافة أبي بكر وعمر ﷺ، ولا يذكرهما إلا بكل حمد وثناء.

أمّا منهج مالك في العقيدة[٢]، فكان اتّباع السلف الصالح في منهجه، حيث تدخل المصطلحات التي تدور في معجم منهجه وفكره، فإنّه يقدم النصّ القرآني ويأخذ بفهم الصحابة والتابعين له، دون أن يخل ذلك بمقومات الاجتهاد والرأي عنده، فكان من أهم الأمور التي انتهجها الابتعاد عن إطلاق الأحكام بالحل أو الحرمة، مخالفا بذلك ما كان موجودا في عصره من جرأة بعض العلماء على هذا، وقد كان مالك ﷺ يعلم أنّ هذا هو القطع في حكم الله، ويستشهد بأنّ الصحابة وهم خيار الأمّة كانوا يتحرّجون من إطلاق الأحكام، وكذلك من نهج نهجهم من علماء الأمّة، مخافة الافتراء على الله سبحانه وتعالى في التحليل والتحريم.

(١) محمد أبو زهرة، **مالك بن أنس**، ٨٣ ـ ٨٦.

(٢) أبو زيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، ٢١٢ ـ ٢١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال مالك: «ما شيء أشدّ عليّ من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام، لأنّ هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا، وإنّ أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه... وأهل زماننا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ما يفتح لهم من العلم، ولم يكن من أمر النّاس، ولا من مضى من سلفنا الذين يقتدى بهم ـ ومعوّل الإسلام فيهم ـ أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولون: أنا أكره كذا، وأرى كذا، وأمّا حلال وحرام فهو الافتراء على الله، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]؛ لأنّ الحلال ما أحلّه الله ورسوله، والحرام ما حرّمه»[2]. أمّا موقفه من التأويل: فقد انتهج نهج السلف الصالح في رفض التأويل الذي يقود إلى القول بغير علم، «إنّما أهلك النّاس تأويل ما لا يعلمون»[3]. وقال ابن أويس: سمعت مالكا يقول: «إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذونه. ولأنّ هذا العلم دين لا يؤخذ من أي عارض له، بل لا بد من مقاييس يتّصل بعضها بشخصية العالم، وبعضها بنوع علمه ومنهجه، تطبق حتى يعرف الآخذ ماذا يأخذ وماذا يدع[4]. أمّا عن العقائد فكان يلتزم بما أخبر به القرآن والسنّة، والإيمان بما دعا إليه من غيبيّات دون بحث في الكيف، وقد

(١) يونس: ٥٩.
(٢) أبو اليزيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، ٢١٦.
(٣) محمد أبو زهرة، **الإمام مالك**، ٣٠ ـ ٣١.
(٤) المرجع نفسه، ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان هذا نهج الصحابة على عهد رسول الله ﷺ والتابعين بعدهم؛ وقد كان مالك يرى جواز تخصيص القرآن الكريم بالسنّة المتواترة وبخبر الآحاد أيضا، وقد كان مالك يرى أنّ السنّة يمكن أن تستقل بحكم جديد، لم يرد أصلا في القرآن الكريم، مثل قبول الحكم باليمين مع الشاهد(١) . وهو حديث مرسل تأيد عند الشافعي(٢) بأحاديث وآثار أخرى. وقال مالك: «مضت السنّة في القضاء باليمين مع الشاهد الواحد، يحلف صاحب الحق مع شاهده ويستحق حقّه(٣) . ولم ترد شهادة الشاهد الواحد مع يمين صاحب الحق في القرآن الكريم قط، إنّما الذي ورد هو شهادة شاهدين رجلين أو رجل وأمرأتين، في قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾(٤). إذاً، فقد كان للسنّة عند مالك اعتبار كبير، حيث رأى أنّها قد تستقلّ ابتداء بسنّ تشريعات لم ترد أصلا في القرآن الكريم، فهي عنده بهذا الاعتبار مصدر تشريعي مستقلّ لا يقتصر على بيان ما في القرآن الكريم أو تخصيص عامّه. لكن مالكا ـ من ناحية أخرى ـ لم يكن يعمل بكل ما يروى له من أحاديث، فإلى جانب مقاييسه السابقة من الرواة ـ نجد من استقراء فقهه أنّه قد رفض أيضا بعض أخبار الآحاد؛ لمخالفة مضمونها للأمور

(١) أنس بن مالك، **الموطأ**، بيروت، دار الكتب العلمية، لا.ت، لا.ط، ٤٤٥.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي، **الأمّ**، بيروت، دار ابن حزم، مجلد ٢، ٢٤٨٦، كتاب الأقضية، باب اليمين مع الشاهد.

(٣) أنس، بن مالك، **الموطأ**، ٤٥٦.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والاعتبارات التشريعية الآتية[١] : ـ

١ ـ إذا خالف الخبر ظاهر القرآن دون أن يكون له ما يعضده من إجماع أو عمل أهل المدينة.

٢ ـ إذا خالف الخبر الأصول والقواعد الشرعيّة المقرّرة.

٣ ـ إذا خالف الخبر ما يطلق عليه مالك (عمل) أو (إجماع أهل المدينة).

كان منهجه اتّباع الصراط المستقيم الذي هو صراط الله تعالى إذ قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٢]. ولقد سلك في هذه الأمور ما سلكه في الفقه والحديث، فقد قرّر اتّباع السنّة واتّباع منهاج السلف الصالح. وكان يتمثّل دائما بقول الشاعر:

وخير أمور المرء ما كان سنّة وشر الأمور المحدثات البدائع

وكان يعجب بقول عمر بن عبدالعزيز: «سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمور من بعده سننا... الأخذ بها اتّباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله وقوّة على دين الله وليس لأحد بعدها تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها. ومن اهتدى بها فهو مهديّ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولّى، ونصله جهنّم وساءت مصيرا». وهكذا سار على السنّة في دراسته للعقيدة[٣].

(١) محمد بلتاجي، **مناهج التشريع الإسلامي**، ٤٢٣.
(٢) الأنعام: ١٥٣.
(٣) محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ٤٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإمام محمد بن إدريس الشافعي

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن المطّلب بن عبد مناف. . . القرشي. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه نسبة الشافعيّة كافة. ولد في غزّة بفلسطين سنة خمسين ومائة للهجرة وحمل منها إلى مكّة وهو ابن سنتين. أمّه من قبيلة الأزد، من اليمن، ذاق مرارة فقد الأب وهو صغير، ونشأ في أسرة فقيرة، روي عن الشافعي قوله[١]: «كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلّم، وكان المعلّم قد رضي منّي أن أخلفه إذا قام، فلمّا ختمت القرآن، دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء، وأحفظ الحديث أو المسألة».

وذكر الذهبي في كتابه الموسوعي سير أعلام النبلاء وغيره أنّه نشأ بمكة، وأقبل على العربيّة والشرع، فبرع في ذلك وتقدّم.

هذه هي الخطوات الأولى التي خطاها الشافعي نحو العلم، وهي التزوّد بالأصل (الكتاب والسنّة)، ثم الحرص على لغة الفهم

(١) أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تحقيق محمد سيد عبد الرسول، القاهرة، مكتبة الرحاب، ط١، ٢٠٠٧، ٩/٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والبيان. جلس إلى العديد من المشايخ، وقد قيّض الله للشافعي فرصة تعدّد شيوخه وتنوّع اتجاهاتهم الفكريّة، فكان ذلك محقّقا لطموحه، مبرزا لشخصيّته العمليّة، ومؤثّرا فيما ترك للناس من علم. وقد دفع الشافعي ثمن تحقيق طموحه، فأنفق المال في تحصيل كتب بعض مشايخه، وأنفق الجهد في الأسفار، كما استعدّ علميّا للقاء مشايخه حتى يقبل عندهم، وتكثر استفادته، وقد رصد المؤرخون مشايخ، نذكر ما ذكره الذهبي[١]: وأخذ العلم ببلده مكة **عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وداود بن عبدالرحمٰن العطّار، وعمه محمد بن علي بن شافع، وسفيان بن عيينة، وعبدالرحمٰن ابن أبي المليكي، وسعيد بن سالم، وفضيل بن عياض، وعدة. . . . وارتحل وهو ابن نيف وعشرين سنة، وقد أفتى وتأهل للإمامة إلى المدينة، فحمل عن مالك بن أنس الموطأ.**

وحمل عن إبراهيم بن يحي، وعبدالعزيز الدراوردي. وأخذ باليمن عن مطرف بن مازن، وهشام بن يوسف القاضي وطائفة. وببغداد عن محمد بن الحسن فقيه العراق ولازمه، وحمل عنه وقر بعير، وعن إسماعيل ابن عليّه، وعبدالوهاب الثقفي.

وصنّف التصانيف، ودوّن العلم، وردّ على الأئمّة متّبعا الأثر، وصنّف في أصول الفقه وفروعه، وبعُدَ صيته، وتكاثر عليه الطلبة[٢]. أجمع شيوخه وقرّاؤه وتلاميذه الذين تلقّوا عليه أنّه كان عَلَما بين

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٣٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأعلام ولا يُجارى ولا يُبارى. فمالك شيخه يثني عليه في وقت لم يكن قد تكامل نموه، وبلغ شأوه[١]. تلقى الإمام الشافعي العلم على عدة من الشيوخ أصحاب المذاهب والنزعات المختلفة، وبذلك تلقى فقه أكثر المذاهب التي قامت في عصره. فاجتمع له فقه مكة والمدينة والشام ومصر والعراق، ولم يجد حرجا في أن يطلب الفقه عند من اشتهر بالاعتزال، وعرف بأنّه في أصول الاعتقاد لا يسلك في طلبها مسلك أهل الحديث والفقه، وانساغ كل ذلك العلم الكثير في نفس الشافعي، فكان منه ذلك المزيج المحكم الذي تلاقت فيه كل النزعات منسجمة متعادلة، متآلفة النغم غيرمتنافرة، وتولدت منه تلك المعاني الكلية التي صهرها الشافعي، وقدّمها للناس في بيان رائع وقول محكم.

ويستدل الفقهاء وجود مدرستين للفقه، استقامت كل واحدة على منهج واحد معيّن، وأنّ الفقهاء كانوا إلّا قليلا يسيرون على منهج إحدى المدرستين مدرسة الحديث وكانت بالمدينة، والثانية مدرسة الرأي وكانت بالعراق.

(١) محمد أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره ـ أراؤه وفقهه**، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٤٥، ٣٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

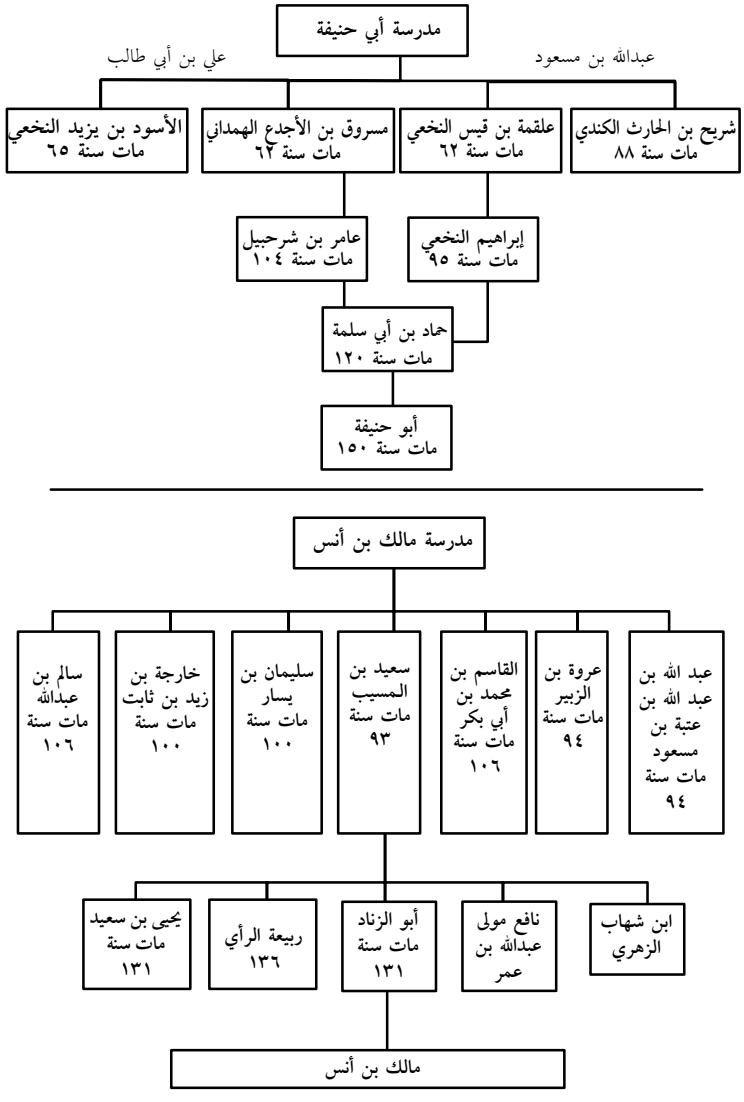

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهناك مدرسة ثالثة تعنى بتفسير القرآن، وتعرف أسباب نزوله ورواية التفسير المأثور فيه، وعلى فهم لغة العرب وعاداتهم، وتفهّم القرآن على ضوء ذلك. وتلك المدرسة هي مدرسة مكة التي اتخذها ابن عباس ﷺ مقاما له.

عاصر الإمام الشافعي العصر العباسي وعاش فيه، وقد امتاز ذلك العصر بميّزات كان لها الأثر الأكبر في إحياء العلوم، ونهضة الفكر الإسلامي، فقد كانت بغداد تموج بعناصر مختلفة من فرس وروم وهنود ونبط، وكانت بغداد موطن الحكم، وحاضرة العالم الإسلامي، وكانت الوفود تجيء إليها من كل بقاع العالم الإسلامي، وكل يحمل حضارة جنسه في أطواء نفسه، وإنّ المجتمع الذي يكون على هذه الشاكلة تكثر فيه الأحداث الإجتماعية[١]. لقد عرف الإمام الشافعي الإتجاهات المذهبية في عصره جيّدا. فقد شهد عصره انغماس الدولة العبّاسية في الترف واجترعوا اللهو، واستساغوا المحرّمات، أو حاموا حولها، وأوغلوا في بعض المشتبهات مما هو بين الحلال والحرام، وقد ساد في عصرهم التشيّع، فكان منهم الإماميّة الإثنا عشرية، وكان منهم الإمامية الإسماعيلية، وكانت منهم الزيدية، وكانت منهم فرقة المعتزلة الذين اشتهروا بعلم الكلام، واشتهروا بتقديم الرأي على النقل. والقدرية والمرجئة والرافضة والخوارج، لقد تأثر الشافعي بهذه الفرق وأخذ موقف الكراهية باعتبار هذه الفرق من البدع والأهواء، فكره الخوض في هذه العلوم، وكان يذمّ علم الكلام

(١) محمد أبو زهرة، **الإمام الشافعي حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه**، ٣٧ ـ ٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باعتباره هوى بل أساسا الهوى، كما نصح بالبعد عنه. فهو يقول فيما يرويه الربيع عنه: «لأن يلقى الله العبد بكل ذنب إلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء[١].

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنّه علّم أمّته الاستنجاء ولم يعلّمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله فما عصم به الدم والمال، حقيقة التوحيد[٢][٣].

علام اعتمد الشافعي في إثبات العقيدة؟:

الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أئمة السلف، ذهب في ذلك مذهب أهل السلف الصالح، فهو يرى أنّ الكتاب والسنّة هما مصدر التشريع، وإليهما يرجع المفتي، ولذلك تراه عند إثبات مفردات العقيدة يبدأ بذكر النصوص الواردة في ذلك من الكتاب والسنّة، ويحتجّ بما جاء بهما على المخالف، ويقول في معرض ردّه على من قال بالاستحسان: «كل ما وصفت مع ما أنا ذاكر وساكت عنه اكتفاء بما ذكرت منه، عمّا لم أذكر من حكم الله ثم حكم رسول الله ﷺ، ثم حكم المسلمين دليل على أن لا يجوز لمن أستأهل أن يكون حاكما أو مفتيا أن يحكم ولا أن يفتي إلا من جهة خبر لازم وذلك الكتاب

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧، ٣٤٠.
(٢) البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، حديث رقم ٣٩٢.
(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧، ٣٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم السنّة أو ما قاله أهل العلم لا يختلفون فيه أو قياس على بعض هذا، ولا يجوز له أن يحكم ولا يفتي بالاستحسان إذ لم يكن الاستحسان واجبا ولا في واحد من هذه المعاني.(١)

أمّا الأدلّة على وجوب تحكيم الكتاب والسنّة وأنّه لا يجوز لأحد مخالفتهما، قال: قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾(٣)، ثم جاءه قوم فسألوه عن أصحاب الكهف وغيرهم، فقال: «أعلمكم غدا، يعني: أسأل جبريل، ثم أعلمكم، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۖ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾(٤). وجاءته أمرأة أوس بن الصامت تشكو إليه أوسا، فلم يجبها حتى أنزل الله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾(٥). وجاء العجلاني يقذف امرأته، قال: لم ينزل فيكما، وانتظر الوحي فلمّا أنزل عليه دعاهما،

(١) الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ، الأم، ٢، كتاب إبطال الإستحسان، وباب إبطال الإستحسان، ٢٩٤.
(٢) الأنعام: ١٠٦.
(٣) المائدة: ٤٩.
(٤) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.
(٥) المجادلة: ١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلاعن بينهما كما أمره الله ﷻ، وقال لنبيه: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾[(١)]. وقال الله ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾[(٢)]. وليس يؤمر أحد أن يحكم بحقّ، إلّا وقد علم الحقّ، ولا يكون الحقّ معلوما إلّا عن الله نصّا أو دلالة من الله فقد جعل الله الحقّ في كتابه ثم في سنّة نبيه ﷺ فليس تنزل بأحد نازلة إلّا والكتاب يدلّ عليها نصّا أو جملة ثم يبيّن المراد مما نزل نصّا.

(وذكر الأمثلة له وما نزل جملة وفصّلته السنّة النبوية وبين أن من قبل عن رسول الله ﷺ فقد قبل عن الله وأطال النفس في هذا[(٣)]. وهذا الكلام يدل على أنّه يرى أنّ الله سبحانه وتعالى ما ترك لنا شيئا مما أراده إلّا ودلّنا عليه في كتابه أو سنّة نبيه ﷺ[(٤)]

مكانة السنّة عند الإمام الشافعي وردّه على من أنكر حجيتها: ـ

يرى الإمام الشافعي رحمه الله أنّ السنة مثل القرآن في التشريع فما ثبت في السنّة كالذي ثبت في القرآن وما حرّم في السنّة كالذي

(١) المائدة: ٤٩.
(٢) ص: ٢٦.
(٣) الشافعي، **الأم**، ٢٩٣٩/٢.
(٤) الشافعي، **الرسالة**، ٩٤. حديث رقم ٢٨٩ (ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به...).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حرّم في القرآن. والسبب في ذلك أنّهما جميعا من الله، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة، إلّا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[(٣)].

والآيات في هذا المعنى كثيرة وقال، رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتاب الرسالة: «وكل ما سنّ فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتّباعه طاعته، وفي العزوف عن اتّباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقا، ولم يجعل له من اتّباع سنن رسول الله ﷺ مخرجا لما وصفت، وما قاله رسول الله ﷺ».

وقد تستقل ببعض الأحكام وإن لم يرد لها أصل في الكتاب فقال: «افترض الله على خلقه من طاعة رسوله وبيّن موضعه الذي وضعه الله به من دينه. ومنها ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره. ومنها: ما أتى على غاية البيان في

(١) إبراهيم: ١.
(٢) النحل: ٤٤.
(٣) النحل: ٨٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرضه، وافترض طاعة رسوله فبيّن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ: كيف فرضه وعلى من فرضه ومتى يزول بعضه ويثبت ويجب. ومنها: ما بيّنه عن سنة نبيه بلا نص كتاب. وكل شيء منها بيان في كتاب الله. فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه قبل عن رسول الله ﷺ سننه بفرض الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله ﷺ على خلقه وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل لما افترضه الله من طاعته[(١)].

أمّا الأدلّة على ذلك قال: عرض الله على النّاس اتباع وصيّة وسنن رسول الله ﷺ فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾[(٢)]. وقال تعالى أيضا: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[(٤)] وغيرها الكثير، مما دلّ على ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة وهي سنّة رسول الله ﷺ[(٥)].

---

(١) الشافعي، **الرسالة**، باب ما أبان الله لخلقه من فرضه على رسول الله ﷺ اتباع ما أوحي إليه، ١٦٥ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) البقرة: ١٥١.

(٤) آل عمران: ١٦٤.

(٥) الشافعي، **الرسالة**، كتاب بيان فرض الله في كتابه اتباع سنّة نبيه، ١٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمّا قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في خبر الآحاد: ـ فقد بوّب بابا خاصا سمّاه علم عامّة وعلم خاصّة. فقال: قال لي قائل: حدّد لي أقّل ما تقوم به الحجّة على أهل العلم (علم العامّة)[١]. وحدّد ما تقوم به الحجّة على أهل العلم في قبول الخبر الواحد، فقال: «خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهي به إلى النبيّ ﷺ أو من انتهى به إليه دونه. أمّا خبر علم الخاصّة فلا تقوم به الحجّة حتى يجمع أمورا منها:

١ ـ أن يكون من حدّث به ثقة في دينه معروفا بالصدق في حديثه، عاقلا لما يحدّث به، عالما بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدّث به على المعنى، وهو عالم بما يحيل معناه: ـ لم يدر لعله يحيل الحلال إلى الحرام. وإذا أدّاه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه إحالته الحديث، حافظا إن حدّث به من حفظه، حافظا لكتاب الله إن حدّث من كتابه. إذا شَرِكَ أهلَ الحفظ في الحديث وافق حديثهم، بريّا من أن يكون مدلسا: يحدّث عن من لقي ما لم يسمع منه، ويحدّث عن النبيّ ﷺ ما يحدّث الثقات خلافه عن النبيّ ﷺ ويكون هكذا من فوقه ممّن حدثه، حتى ينتهي بالحديث موصولا إلى النبي ﷺ أو إلى ما انتهى به إليه دونه، لأنّ كل واحد منهم مثبت لمن حدّثه، ومثبت على من حدّث عنه، فلا يستغني في كل واحد منهم عمّا وصفت[٢]. أمّا ما اعتبره الشافعي ما يفيد الخبر الواحد، أنّه لا يفيد

---

(١) اعتبر الشافعي العلم هو ما يجب على النّاس علم العامّة الذي لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله.

(٢) الشافعي، **الرسالة**، ٢٥٠ ـ ٢٥٢، وهذه الشروط التي وضعها الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم مطلقا سواء احتفت به القرائن أم لا، وهو قول جماعة من أصحاب الحديث، فقد أجمع الصحابة ﷺ، ممن بعدهم من التابعين وسلف الأمّة الصالح على وجوب العمل بخبر الواحد، سواء من قال إنّه يفيد العلم أو يفيد الظنّ، ولم يخالف في هذا إلّا من لا اعتبار بخلافه، كبعض المعتزلة والرافضة. على ذلك فإنّ الشافعي رحمه الله لا يفرّق في وجوب العمل بخبر الواحد بين مسائل العقيدة وغيرها من أمور الدين[(١)].

حكم من ردّ خبر الآحاد: ـ

قال الشافعي رحمه الله[(٢)]: ـ لا يجوز عندي على عالم أن يثبت خبراً واحداً كثيراً ويحلّ ويحرّم ويردّ مثله إلّا من جهة أن يكون عنده حديث يخالفه أو يكون ما سمع ومن سمع منه أوثق ممن حدثّه خلافه، أو يكون من حدّثه ليس بحافظ أو يكون متهما عنده، أو يتّهم من فوقه ممن حدثّه، أو يكون الحديث محتملا معنيين فيتأوّل فيذهب إلى أحدهما دون الآخر... فإن لم يسلك واحدا من هذه السبل فيعذر ببعضها فقد أخطأ خطأ لا عذر فيه عندنا، والله أعلم[(٣)].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

= هي أصل الشروط التي وضعها علماء مصطلح الحديث، اتصال السند، عدالة الرواة، أن يكون الراوي ضابطا، سلامته من الشذوذ والعلّة القادحة.

(١) الشافعي، **الرسالة**، ٢٦٧ وللمزيد من الأدلّة راجع كتاب الرسالة.

(٢) انظر **الرسالة** للشافعي للاستزادة من الأمثلة التي استدل بها الأخذ بخبر الآحاد.

(٣) الشافعي، **الرسالة**، ٢٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإمام أحمد بن حنبل

ولد أحمد رضي الله عنه، في ربيع الأوّل من سنة ١٦٤ من الهجرة النبويّة، وتوفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكانت جنازته يوم الجمعة، ولا غرابة في أن يعرف تاريخ وفاته بالتعيين، فقد كان يوما مشهودا في تاريخ بغداد، تجاوبت بذكره الأقطار الإسلاميّة، لكثرة الذين شيّعوا جنازته.

ولد أحمد ببغداد، ونسبه عربيّ، فهو شيبانيّ في نسبه لأبيه وأمّه. وشيبان قبيلة ربعية عدنانية، تلتقي مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان(١).

ولد أحمد الورع التقيّ من أبوين عربيين كريمين: كان أبوه جندياً يحمي الحمى، ويدافع عن الحوزة، وما خلع زي الغزاة، بل كان على ذلك إلى أن مات. وورث عن أسرته عزّة النفس وقوّة العزم، والصبر واحتمال المكاره، والإيمان الراسخ القوي، وكان ذلك كلّه ينمو كلما شبّ وترعرع.

---

(١) محمد أبو زهرة، **أحمد ابن حنبل حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م، ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يكد أحمد يرى نور الوجود، حتى رأى أنّه فريد فيه، قد فقد أباه، وكلأته أمّه، فإنّ أباه قد مات وهو طفل صغير. وكان في هذا كشيخه الشافعي: نسب رفيع، وحال من الفقر الذي يجد فيه الكفاف، وهمّة عالية، ونفس أبيّة، وعقل ذكي أريب، ولقد تشابهت نشأة التلميذ والأستاذ تشابها غريبا. كلاهما كانت له أمّ ترأمه وتدفعه إلى العلا. نشأ الإمام أحمد ﷺ في بغداد، وتربى فيها تربيته الأولى، وقد كانت تموج بالناس الذين اختلفت مشاربهم، فيها القرّاء والمحدثون والمتصّوفة وعلماء اللغة والفلاسفة والحكماء، فقد كانت حاضرة العالم الإسلامي، وقد اختارت أسرة أحمد له منذ صباه أن يكون رجل الدين الذي يتوفّر له ويعكف عليه، ويتّخذ له كل العلوم الممهدة له، من علم باللغة والحديث والقرآن، ومآثر الصحابة والتابعين وأحوال الرسول ﷺ وسيرته، وسيرة أوليائه الأقربين الذين اختصوا بطول الصحبة، وفقه الدين ولبّ اليقين، وقد اتفقت هذه التربية، أو هذا التوجيه، مع نزوعه النفسي وما كانت تصبو إليه همّته من غايات. لقد وجهته أسرته إلى القرآن الكريم منذ نشأته الأولى، حتى إذا أتمّ حفظ القرآن، وعلم اللغة، اتجه إلى الديوان ليمرّن على التحرير والكتابة. ولقد اختار في صدر حياته رجال الحديث ومسلكهم، فاتجه إليهم، وراد طريق الفقهاء الذين جمعوا بين الرأي والحديث، فيروى أنّ أول تلقيه العلم كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة[١]. أقبل على سماع الحديث،

(١) محمد أبو زهرة، **أحمد بن حنبل**، ص١٨ ـ ٢٠. وابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٠، ٣٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكان أوّل طلبه للحديث وأوّل سماعه من مشايخه في سنة ثمانين ومائة، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة(١). وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق، وسمع من مشايخ العصر، وكانوا يجلّونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، واجتمع بالشافعي في رحلته الثانية إلى بغداد سنة أربع وتسعين ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيّف وثلاثون سنة. قال له الشافعي: يا أبا عبدالله إذا صحّ عندكم الحديث فأعلمني به، لأذهب إليه حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا. يعني لا يقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلّا رواية الحجازيين وينزلون أحاديث من سواهم منزلة أحاديث أهل الكتاب ـ وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنّه عنده بهذه المثابة إذا صحّح أو ضعّف يرجع إليه، وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمّة والعلماء(٢). هاجر إلى الأمصار في سبيل العلم، فكان يدوّن كل ما يسمع من أحاديث رسول ﷺ وأثار أصحابه غير معتمد على الحافظة وحدها، وذلك لأنّ العصر كان عصر تدوين العلوم، ففيه دوّن الفقه، وعلوم اللغة وعلوم الحديث، فما كان يكتفي بالالتقاط بأذنه، والحفظ بعقله بل كان يودع ما تلقاه بطون القراطيس، كما أودعه قلبه الحافظ الواعي، فكان يحفظ الأحاديث كلّها، وإسنادها بطرائقها، ولكنّه إذا حدّث لا يحدّث إلّا من كتاب، أي مما كتب ونقل، خشية أن يضلّ عقله فينسى، فيحرّف كلام الرسول ﷺ

(١) أبي الفداء ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٠، ٣٤٠. ومحمد أبو زهرة، **الإمام أحمد بن حنبل**، ٢٣.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٠، ٣١٤. ومحمد أبو زهرة، **الإمام أحمد بن حنبل**، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨، ٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن مواضعه، وذلك من فرط التقوى، وليستمسك بالعروة الوثقى التي كان عليها بعض السلف الصالح الذين كانوا لا يحدّثون خشية أن يشبه لهم، كما ظنّوا أنّه يشبّه لغيرهم[١]. كان اهتمام أحمد بن حنبل بالحديث وآثار الرسول ﷺ وفتاوى أصحابه وآثارهم العلمية وما كانوا يجتهدون من مسائل فيحفظ كل ذلك ويتفهمه، ويعرف مراميه وغاياته، ويهتدي بذلك الهدي الكريم. وتعلّم الحديث كان معينا لاستنباط الأحكام من النصوص، كما كان معينا بالرواية والرواة. اطّلع الإمام أحمد على آراء الفرق المختلفة كالخوارج والشيعة، والجهميّة، والمعتزلة وغيرهم؛ ألمّ بهذه الفرق حين رحل إلى البصرة خمس مرّات لطلب الحديث، وكانت إقامته تمتد إلى ستة أشهر أو تزيد، والبصرة كانت موطن الاعتزال، وفي باديتها كان الخوارج يرابطون ويغيرون، وكان الجهميّة والمرجئة لهم طوائف فيها وفي الكوفة، والعالم الباحث يصل إليه علم كثير ممن يجاورهم ويخالطهم ويتصل بهم، وأحاديث أصحاب الفرق كانت تسري في المجالس في مساق الاستحسان في بعضها، ومساق الاستهجان في بعضها، فكان أهل العلم يلمّون بها مستنكرين أو مستحسنين، وكان أحمد يرمي أصحاب هذه الآراء بالابتداع وأنّهم كانوا بعيدين عن منهاج السلف، وما كان لمثل أحمد في حرصه وعقله أن يرمي أناسا بهذه الرمية من غير أن يعرف مقالتهم، إذ الحكم على الشيء نفيا أو إثباتا، أو استحسانا أو ستهجانا، فرع عن تصوّره ومعرفته. وكان أحمد ينتقي الرجال الذين يروي عنهم حرصا على

(١) محمد أبو زهرة، **الإمام أحمد بن حنبل**، ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يكونوا ممن لم يخوضوا في أمثال هذه الأقوال التي كان يراها بدعا في الدين، وكان ذلك بلا ريب يقتضي أن يكون ملمّا بعض الإلمام بها، وعارفا بعض المعرفة بها. اطّلع الإمام أحمد على أقوال هذه الفرق، ولم تتأثر بها نفسه، وتشربها روحه، إذ لم تتفق مع نزوعه، ولم تتلاق مع ميوله، مع العلم أنّه كان يعلم الفارسية، ويتكلّم بها أحيانا، إذا كان مخاطبه لا يحسن العربية، ولا يستطيع الإفهام بها[١].

أمّا بالنسبة لجلوسه للتحديث والفتوى، فقال ابن الجوزي: «إنّ أحمد لم ينصب نفسه للحديث والفتوى إلّا بعد أن بلغ الأربعين».

ويلاحظ في درسه ثلاثة أمور: ـ

أولاً: أنه كان يسود مجلسه الوقار والسكينة مع تواضع واطمئنان نفسي، ولم يكن الوقار في مجلس علمه وحده، بل كان في كل مجالسه، لا يمزح ولا يلهو، لأنّ اللهو في جملته باطل، ولأنّ كل مزحة مجّة من العقل، وقد علم مخالطوه منه ذلك، فكانوا لا يمزحون في حضرته قط، في مجلس علم أو غير مجلس علم. بل كانت روح الجَدِّ والسكينة هي التي تطلّ من مجلسه، لأنّ ذلك هو الذي يتّفق مع رواية السنّة النبوية الشريفة، وآثار الرسول الكريم، وفتاوى السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ومن شأن السكينة أن تجعل للقول مكانة من القلب، ومنزلته من النفس، وإنّه وإن كانت الدعابة تذهب الملال، فإنّ كثرتها تذهب الروعة ورواء العلم، وقد تجنب أحمد المزاح جملة إذ رواية السنّة عبادة عنده، ولا مزح في وقت العبادة، بل المزح ينافيها، ولا خير فيمن

(١) أبو زهرة، **أحمد بن حنبل**، ٢٩. وأيضا **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ٤٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يمل من العبادة برواية علم الرسول ﷺ، وخير ما وصل إليه أصحابه.

الأمر الثاني:ـ أنّه لا يلقي الدرس من غير طلب بل يسأل عن الأحاديث المرويّة في موضوع فيستحضر الكتب التي دوّن فيها تلك الأحاديث.

الأمر الثالث: ـ الملاحظ في دروسه أنّها كانت من حيث موضوعها قسمين، أحدهما رواية الحديث ونقله، وثانيهما فتاويه الفقهية التي كان يضطر إلى استنباطها، وهذه لا يسمح لتلاميذه أن ينقلوها عنه، إذ إنّه ما كان يستجيز التدوين إلا لأحاديث رسول الله ﷺ، ويرى أن علم الدين وحده هو علم الكتاب والسنّة، وأنّ من البدع تدوين آراء الناس في الدين بجوار كتاب الله والسنّة[١]. وكان أحمد بن حنبل يتتبع حياة السلف ما استطاع، فلقد تجرّد فيها من ملابسات العصر ومناحراته، وما يجري من منازلات فكريّة وسياسيّة أو اجتماعيّة أو حربيّة، اختار أن يحلّق بروحه في جوّ الصحابة والصفوة من التابعين، ومن جاء بعدهم، ممن نهج نهجهم، واختار سبيلهم، لذلك كان علمه وفقهه هو السنّة وفقهها، لا يخوض في أمر، إلّا إذا علم أن الصحابة خاضوا في ذلك، فإن علم ذلك اتبع رأيهم، ونفى غيره، وإن لم يعلم أن الصحابة خاضوا في ذلك الأمر، كفّ عنه واستعصم متوقّفا حذرا، فلا يقفو ما ليس له به علم، لأنّه يعتقد أن الخروج عن تلك الجادّة زيغ عن منهاج السلف، وإلحاد عن دين الله سبحانه وتعالى، لا يتكلّف التعمق في مسائل عقليّة قد

(١) محمد أبو زهرة، **الإمام أحمد بن حنبل**، ٣٣ ـ ٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكون متاهات العقل البشري، وإن خرج عن وعثائها سالما فقد جهد نفسه في غير طائل، وشغل فكره في غير جدوى، ولها عن ذكر الله، وقسا قلبه، وصدّ نفسه عن سبيل العبادة(١).

إنّ عصر أحمد قد غلب فيه العنصر الفارسي العنصر العربي، وسادت الحضارة الفارسيّة أو غير العربيّة بشكل عام المجتمع الإسلاميّ، وماجت المدن الإسلامية بعناصر مختلفة من أمم متباينة الأرومة، وترجمت العلوم الفلسفية من اللغات السريانيّة واليونانيّة وغيرهما، وامتزجت مدنيات، وتصادمت حضارت. فظهرت الآراء المنحرفة، والأخلاق الماجنة، وكثر الشذوذ الفكري والاجتماعي، حتى أصبح الشاذ هو السائد، والغريب هو المألوف.

ظهرت كل هذه الأمور في العصر العباسي، واستقرّت شؤون هذه الدولة بسبب السيوف الفارسية، لكن بسبب حكم **المنصور** القوي لم تتمكن كما سعت، فلما جاء **المهدي** ظهرت فتن ثائرة حاملة السيف، لكنّه استطاع أن يقمعها، وأراد **الرشيد** أن يغالب هذه المنازع، وقد سرت في المجتمع الإسلامي سريان النار في الهشيم ومن غير حرب، فأدنى إليه الفقهاء والمحدثين، وكان لهم في دولته مكان الصدارة، لكن بقدوم المأمون وبعد أن تمّ له الأمر على أخيه الأمين (بمعونة الفرس وسيوفهم، قويت العناصر غير العربية واشتدت، وكان للفلسفة والعلوم الجديدة من تأثير على **المأمون**. فكثر الفساد وكثر المخربون في المجتمع وكثرت الآراء الغريبة على العقل

(١) المرجع نفسه، ٣٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسلامي، فاختار قسم من المتتبعين للسلف الصالح أن يعيش في وسط تلك المنازع غريبا عنها، محلّقا في سماء سيرة السلف وعقيدتهم الصافية يتتبعون الصحابة والتابعين وكان أبرزهم الإمام أحمد.

إنّ أحمد بن حنبل قاطع الذين يخضعون في غير ما أثر عن السلف مقاطعة تامّة، حتى إنّه ما كان يستجيز لنفسه الردّ عليهم، وكان على ذلك إلى أن مات رضي الله عنه.

باب ما أثر عنه في باب العقيدة: ـ

لم يعبّر الإمام أحمد عن اجتهاده كفرد، وإنّما كان يعبّر عن رأي أهل السنّة جميعا بحكم وحدة المصادر والمنهج، وكان يقول: أصول أهل السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنّة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنّة تفسّر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنّة **قياس** ولا تضرب لها **الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنّما هو الاتباع وترك الهوى.**

استخدم الإمام أحمد مصطلحات منها: «**أصول السنّة عندنا**» و«**السنّة عندنا**»، فكان يعبّر عن مذهب أهل السنّة والجماعة، وكان يعبّر عنها بصراحة في قوله: «**من صفة المؤمن من أهل السنّة والجماعة**»، وعلى ذلك **فإنّ توجه أحمد بن حنبل في الفقه والعقيدة**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو ما عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، ومن سار على نهجهم الذين تعلّموه من كتاب الله وسنّة نبيّه في العقائد وغيرها[١]». إنّ نهج الإمام أحمد بن حنبل في عقيدته وبيانها للناس منهج السلف الصالح والتابعين ـ رضوان الله عليهم ـ فتكلم فيما تكلّموا به، أو أثبته الرسول ﷺ، من غير زيادة أو نقصان، وابتعد عن الجدل والفروض والنظريّات، وكل ما استحدثه الناس بعد ذلك. وكان يقول في كل ما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة: آمنّا به كل من عند ربنا، مبتعدا عن المتشابه ابتعادا عن الفتنة، وابتعادا عن تأويله. وكان يقول ومن السنّة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها، لم يكن من أهلها. الإيمان بالقدر خيره وشرّه، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال له: لم؟ ولا كيف؟. إنّما هو الإيمان والتصديق بها، **ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعليه بالإيمان به والتسليم له**، مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلّها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنّما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفا واحدا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظر، ولا يتعلّم الجدال.

وقد أجمع من نقل عن الإمام أحمد، وبناء على أقواله وما أثر عنه أنّه: ذمّ الكلام وأهله، لأنّهم يرجعون إلى العقل أوّلا، ويجعلونه حكما

(١) أبو يزيد العجمي، **العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة**، ٣٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في المناقشات والاستدلالات، فإن وافقهم نقل كان مؤكدا له، وإن خالفهم سلكوا في سبيل الجمع والتأويل بدعوى أنّ العقل أصل للنقل، فلو قدّم النقل على العقل عند التعارض لبطل العقل والنقل جميعا. ولا شك أنّ القاعدة غير صحيحة، والصحيح أنّه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأنّ العقل دلّ على صحّة النقل، وجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنّا قد أبطلنا دلالة العقل(١). لذا نجد عناية الإمام أحمد بن حنبل بدراسة القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وكل ما جاء عن السلف الصالح والوقوف عند حدود النص دون الخروج عنه إلى ما عرف به عصره من كلام وجدل وحول ذلك من منازعات وخصومات، بل جعل نصوص الكتاب والسنّة أساسا لعقيدته وفقهه من الأصول والفروع. والأساس الذي بنى عليه عنايته بالكتاب والسنّة الشريفة والوقوف عند حدود نصوصهما، أنّ الله سبحانه وتعالى خاطبنا بما نفهم وبما تدل عليه الألفاظ والتعابير العربية، يقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾(٢)، ويقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾(٣)، والرسول ﷺ كان المبيّن والموضح وهو القائل ﷺ «تركتكم على بيضاء ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك». ولذلك نرى الإمام أحمد ومن قبله من أئمة السنّة لم يجرؤوا على ما جرؤ عليه

(١) أبي بكر الخلال، **العقيدة للإمام أحمد بن حنبل**، دراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز السيروان، دمشق، دار قتيبة، ط١ ١٩٨٨م، ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) يوسف: ٢.

(٣) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيرهم، بل استسلموا لما ورد فقبلوه دون تأويل أو تبديل خوفا من الله تعالى[١].

ونرى أنّ أصول أحمد بن حنبل هي النصوص، وفتاوى الصحابة والأصل الثالث الاختيار في فتاوى الصحابة إذا اختلفوا، والأصل الرابع: المرسل من الحديث إذا لم يمكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متّهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه فالعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسّم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب، ولا إجماع على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس وليس أحد من الأئمة إلّا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة، فإنّه ما منهم أحد إلّا وقد قدّم الحديث الضعيف على القياس. أمّا القياس فاستعمله للضرورة[٢].

أمّا عن محنته ففي **أيّام المأمون والمعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم** وما أصابه به من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب، وقلّة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسّكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط

(١) أبي بكر الخلال، **العقيدة للإمام أحمد بن حنبل**، ٣٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١، ٢٨ ـ ٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستقيم، وكان أحمد عالما بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوّة، والأخبار المأثورة، وبلّغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضي وسلّم إيمانا واحتسابا، وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وهيّأه الله بما آتاه من ذلك لبلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أوليائه، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بليّة وبالله التوفيق والعصمة.

لقد استحوذ على المأمون جماعة من المعتزلة فأضلّوه عن طريق الحقّ إلى الباطل، وزيّنوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله ﷻ. قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أميّة وبني العباس خليفة إلّا على مذهب السلف، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزيّنوا له، واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور في سنة ثماني عشرة ومائتين. فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهدّدهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين، واستمر على الامتناع أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجند نيسابوري، فحُملا على بعير واحد فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر، فسلّم على الإمام أحمد وقال له: يا هذا إنّك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم، وإنّك رأس الناس اليوم فإيّاك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإنّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما بينك وبين الجنّة إلّا أن تقتل، وإنّك إن لم تقتل تمت وإن عشت عشت حميدا. قال أحمد: وكان كلامه مما قوّى عزمي على ما أنا عليه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه. فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعزّ عليّ يا أبا عبدالله إنّ المأمون قد سلّ سيفا لم يسلّه قبل ذلك، وإنّه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن لقتلك بذلك السيف. قال فجثى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: سيدي غرّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرّأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللَّهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل. قال أحمد: ففرحنا، ثم جاء الخبر بأنّ المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ونالني منهم أذى كثير، وكان في رجليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلّى عليه أحمد، فلمّا رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان، فأودع السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا، وقيل نيّفا وثلاثين شهرا، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي **المعتصم**(١). وبذلك ظلّت هذه القضيّة في مجال البحث والنظر، وفي دائرة الإجتهاد في قضيّة عقديّة حتى أدخلها المعتزلة طورا آخر، ألا وهو فرض هذه العقيدة على النّاس بالقوة وإرغام العلماء على القول بها، فكان ما كان من أمر

(١) ابن كثير، أبي الفداء، **البداية والنهاية**، المجلد الخامس، ١٠، ص٣٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحنة زمن المأمون والمعتصم والواثق، ولم ترفع إلا في عهد **المتوكّل**[١].

خطأ المعتزلة القاتل كان اضطهادهم علماء الأمّة، لقد هدموا بأيديهم في بضع سنين ما بنوه في قرن من الزمان، وتوسّع الصدع بينهم وبين أهل السنّة إلى درجة استحال بعدها جبره، وكانت محنة الإمام أحمد بن حنبل مع المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد حيث حاول وبقوّة الدولة إجباره على القول بخلق القرآن. وبصرف النظر عن تفاصيل المحنة وما تنطوي عليه من إضرار المعتزلة في ادّعائهم أنهم رعاة الحريّة بمحاولتهم استخدام القوّة لتغيير عقائد الناس، فقد امتحن مع الإمام أحمد بن حنبل الكثير من العلماء، ضعف بعضهم فأجاب، ولم يصبر إلّا أربعة هم: أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، ومحمد بن نوح، ونعيم بن حمّاد، وانقشعت الغمّة وبقي الحقّ الذي دافع عنه وقال به الإمام أحمد وقبله وبعده كثيرون من علماء أهل السنّة[٢].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) المرجع نفسه، ١٠، ص٣٥١.

(٢) العجمي، أبو يزيد، **العقيدة الإسلاميّة عند الفقهاء الأربعة**، دار السلام، ص٣٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
العقيدة لغةً واصطلاحاً	٥
مدخل إلى باب العقيدة	٥
معنى العقيدة لغةً	٧
مصطلح العقيدة	٨
أركان العقيدة الإسلامية	١٥
مناط الحكم في الاعتماد على الأدلّة النقلية في إثبات الأمور الغيبية	٢٦
الإيمان بالغيب	٢٦
الخيال وحدوده	٣٦
العقل وحدوده	٣٧
الحواس وحدودها	٣٨
المنهج في إثبات الأمور الغيبية	٤١
أقوال الأئمة في العقيدة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة	٥٦
أقوال الأئمة الأربعة في إثبات الأمور الغيبية	٦٩
الإمام أبي حنيفة	٧١
الإمام مالك بن أنس	٨٥
الإمام محمد بن إدريس الشافعي	٩٧
الإمام أحمد بن حنبل	١٠٩

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑